479

HARLEQUIN

روايات أحلام

مرايا الزمن العائد

بيني جوردان

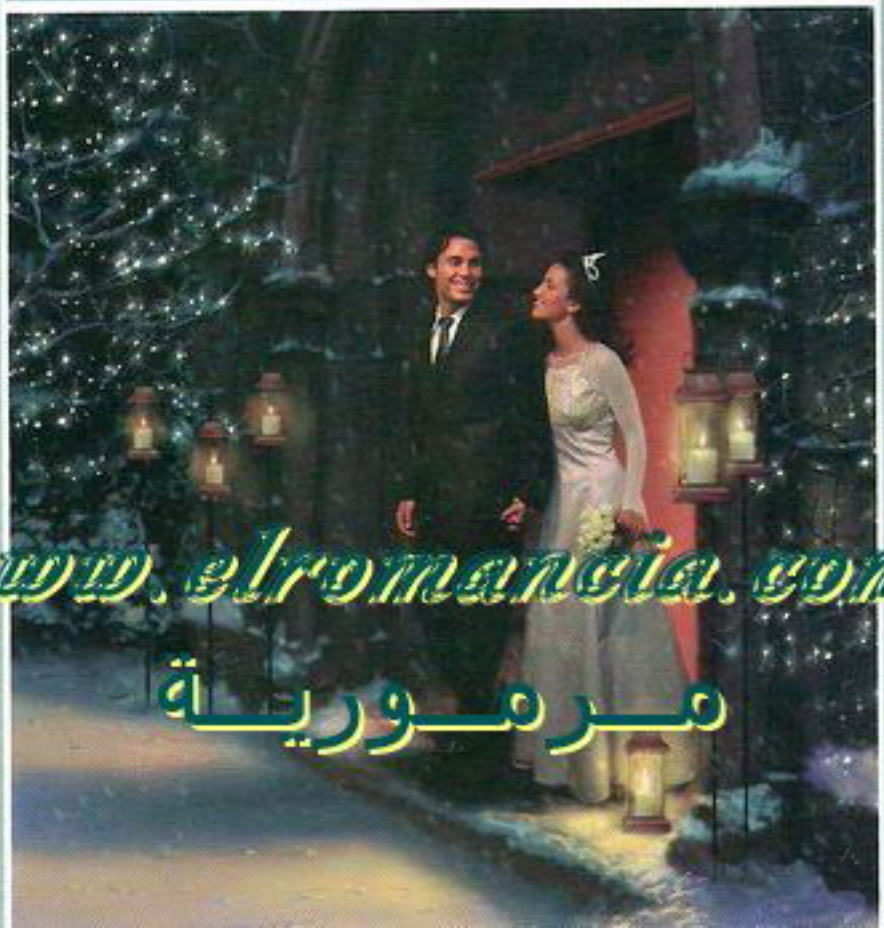

www.elromancia.com
مرمورية

مرايا الزمن العائد

ـ سوف أدفع لك مليون جنيه كي تتزوجي بي لمدة سنة واحدة .وهذا الزواج لن يكون زواجا فعليا !

الاستقراطي الإيطالي لورنزو . دوق دي مونتسافرو . بحاجة إلى زوجة بالرغم أن الحب ليس وارداً في قاموسه . وبدت السائحة الإنكليزية جودي أوليفر هي المرشحة المثالية لهذا الدور . رغم ضعفها البارز. ولكن هذا بالذات أكثر ما جذبه إليها .

ما إن أطلق لورنزو العنان لعواطفه . حتى اشتعلت بينهما نار من المشاعر لم يعودا يستطيعان السيطرة عليها . وندم لورنزو على الفور . فعليه أن لا ينسى أن هذا الزواج يجب أن لا يصبح حقيقياً

بيني جوردان

تكتب بيني جوردان الروايات منذ أكثر من عشرين سنة وقد ألفت أكثر من ١٥٠ رواية، كتبت عن معظمها تعليقات من مجلات وصحف عديدة منها Sunday Times، New york Times، وحققت أرقام مبيعات عالية جداً. ولدت بيني جوردان في برستون وهي تعيش اليوم في منطقة تشيشير الريفية

١ - خيانة وميراث

إنها لا تريد أن تبدو سخيفة، وتجهش بالبكاء!

هذا ما قالته جودي لنفسها وهي تصرّ على أسنانها. سوف يحل الظلام، وهي تشعر بالخوف والغثيان في معدتها، لإحساسها أنها ارتكبت خطأ فادحاً بسلوكها ذلك الاتجاه من البلدة الأخيرة التي مرت بها. بدت لها الطريق من دون نهاية. هذه هي الليلة التي كان من المفترض أن تستهل فيها شهر عسلها الرومنسي مع جون في الفندق، فتكون هذه ليلتهما الأولى كزوج وزوجة...

حسناً! لن تبدأ بالبكاء الآن. في الواقع، هي لن تبكي أبداً بسبب أي رجل. لطالما كان الحب خارج إطار حياتها وخارج قاموسها، وسوف يظل كذلك.

أجفلت جودي بينما تمايلت سيارتها المستأجرة الصغيرة فجأة فوق أخدود عميق في الطريق التي تسلكها متجهة نحو الجبال، في حين أنه كان يجدر بها سلوك طريق تنحدر نحو المحيط. ابن عمها وزوجته، وهما القريبان الوحيدان المتبقيان لها، منذ وفاة والديها في حادث سيارة حين كانت جودي في التاسعة عشرة من عمرها، حاولا إقناعها بالعدول عن السفر إلى إيطاليا. جادلتهما جودي قائلة: «لكن كل شيء مدفوع سلفاً».

في الواقع، أرادت أن تخرج من البلدة، وتبقى بعيدة عنها طوال الأسابيع المقبلة، وذلك أثناء التحضيرات لزفاف جون على خطيبته لويس، التي أخذت مكان جودي في قلبه وفي حياته وفي مستقبله.

www.elromancia.com

بالطبع لم تخبر جودي ابن عمها دايفيد وزوجته أندريا عن هذا الجزء الكامن خلف قرارها بالسفر، فقد عرفت أنهما سوف يقنعانها بالبقاء في الديار. لكن حين تكون الديار بلدة كوتسوود الصغيرة...

الجميع هنا يعرفونها، ويعرفون أن خطيبها هجرها قبل أقل من شهر من زواجهما لأنه وقع في حب امرأة أخرى. أرادت أن تثبت للجميع لاسيما لجون وللويس مدى قلة أهمية خداع جون لها. وبالطبع، الطريقة الأنجح لتحقيق ذلك هي حضور زفافهما برفقة رجل آخر. رجل أجمل وأغنى من جون نفسه... رجل يعشقها. آه! حبذا لو... في أحلامك! سخرت جودي من نفسها. إذ لا مجال لأن يتحقق ذلك السيناريو.

اعترض دايفيد قائلاً، بينما تبادل وأندريا نظرات ذات معنى: «جودي! لا يمكنك الذهاب إلى إيطاليا بمفردك».

حدث ذلك قبل أن يسافرا إلى أستراليا حيث يقومان بزيارة مطولة لأهل أندريا.

أجابت جودي: «لمَ لا؟».

أضافت: «هذه هي الطريقة التي سوف أقضي بها حياتي».

علقت أندريا بلطف: «جودي، كلانا نفهم كم تشعرين بالصدمة والألم. لا تظني أنني ودايفيد لا نشعر بك، لكن التصرف على هذا النحو لن يجدي نفعاً».

أجابتها جودي بعناد أكبر: «بل هذا سينفعني».

كانت فكرة جون أن يمضيا شهر عسلهما وهما يستكشفان ساحل أمالفي الإيطالي الجميل...

أجفلت عندما سقطت السيارة المستأجرة في حفرة أخرى على الطريق، لم تستطع جودي أن تتخلص منها بسهولة، الأمر الذي جعل القيادة عملاً غير مريح. شعرت أن رجلها تؤلمها بشدة، وساورها الندم لأنها لم تقضِ ليلتها الأولى بالقرب من بابلر. أين هي الآن؟

ليست في مكان يفترض أن تتواجد فيه. هذا ما أدركته بعد فوات الأوان. لو كان جون معها، لما كان حدث ذلك، إلاّ أن جون ليس معها، ولن يكون معها مجدداً.

يجب ألا تفكر بخطيبها السابق، أو بحقيقة أنه لم يحبها قط بل يحب امرأة أخرى، أو أنه كان يواعد تلك المرأة خفية عنها، أو أن الجميع في بلدتها تقريباً كانوا يعرفون ذلك ما عداها.

بعد أن حصل ما حصل، أخبرها أصدقاؤها أن لويس أوضحت أنها أرادت أن تحصل على جون منذ اللحظة التي التقت فيها به، بعد أن انتقلت عائلتها إلى البلدة. أما المسكينة جودي فظلت غافلة عن ذلك، معتقدة ببساطة أن لويس القادمة الجديدة الغريبة متشوقة لتكسب الأصدقاء فقط. الآن جودي أصبحت الغريبة، هذا ما فكرت به بمرارة. كان عليها أن تدرك أن جون رجل سطحي مذ أخبرها أنه يحبها «بالرغم من مشكلة رِجلها». أجفلت جودي فيما أخذ ألمها يشتد.

حسنا! لن ترتكب الخطأ نفسه الذي ارتكبته مع جون مرة أخرى. من الآن فصاعداً، لن تتأثر بالحب، حتى لو عنى ذلك أنها سوف تقضي بقية حياتها وحيدة. المشكلة هي أن جون بدا مخلصاً جداً، وفياً جداً ولطيفاً جداً. أطلعته على تفاصيل حياتها، وصارحته بمخاوفها وأحلامها. إدراكها لهذا الآن يذلها ويجرحها، لذلك من المستحيل أن تخاطر وتبدأ بعلاقة أخرى مع رجل يعاملها كما عاملها جون. تارة يقسم بحبه الأبدي، وأخرى...

عليها أن تعترف أن جون ولويس يبدوان مناسبين لبعضهما، فكلاهما مخادعين وكاذبين. أما هي فشعرت أنها لا تستطيع العودة إلى المنزل إلا بعد انتهاء الزفاف، ومرور وقت كاف لتلاشي كل توتر كي لا تتلقى نظرات الشفقة من الآخرين ولا تصبح موضوع الثرثرة الخافتة بينهم.

قالت أندريا بهدوء حين أدركت أن جودي لن تتخلى عن مخططاتها: «حسناً! لننظر إلى الناحية الإيجابية. من يعرف؟ لربما تلتقين في إيطاليا برجل ما، وتغرمين به.. الرجال الإيطاليون جذابون وشغوفون جداً».

الرجال الإيطاليون وأي نوع آخر من الرجال هم خارج قائمة حياتها من الآن فصاعداً. هذا ما قالته جودي لنفسها بشراسة. رجال، زواج، حب... كلها كلمات لا ترغب في سماعها. ضغطت بغضب على دواسة الوقود. ليست لديها أي فكرة إلى أين ستودي بها هذه الطريق المتعرجة الوعرة، لكنها لن تعود أدراجها. من الآن فصاعداً لن تكون هناك طرق عودة في حياتها، لن تندم على أي تعاسة أو إحباط، ولن تأسف على ما فات. ستواجه الأمور بصلابة من دون عودة إلى الوراء.

تصرف دايفيد وأندريا معها بلطف ما بعده لطف، بتقديمهما الغرفة الإضافية في منزلهما لها، حين باعت بيتها الصغير كي تستطيع الاستفادة من عائداته لتبتاع المنزل الذي كانت وجون سيشتريانه. تبين لها في ما بعد أن ما قامت به ليس بالتصرف الحكيم، لاسيما بعد كل ما حدث. لكنها لا تستطيع البقاء مع ابن عمها وزوجته إلى الأبد.

لحسن الحظ، أعاد جون لها مالها، لكن فسخ خطوبتها كلفها فقدان عملها، لأنها كانت تعمل في شركة يملكها والد جون، وسوف يحل جون مكان والده بعد تقاعد هذا الأخير. الآن صارت بلا منزل وبلا عمل...

أجفلت عندما ارتطمت العجلة الأمامية بشيء صلب، ما جعلها تتمايل إلى الأمام متألمة بالرغم من ضغط حزام الأمان. كم ستطول هذه الطريق قبل أن تجد بعضاً من مظاهر الحياة؟

حجزت جودي غرفة في فندق لتلك الليلة، ووفق حساباتها كان ينبغي أن تصل إلى مقصدها في هذا الوقت. أين هي بحق السماء؟

صارت الطريق تنحدر بشدة صعوداً.

* * *

- أفترض أنك أنت المسؤولة عن هذا، إذ تبدو لمستك المتلاعبة المدمرة واضحة كاترينا.

هذا ما قاله لورنزو نيكولو دستي، دوق مونتسافرو، متهماً زوجة ابن عمه بازدراء شديد، فيما رمى وصية جدته على الطاولة بينهما.

- إذا كانت جدتك قد أخذت مشاعري بعين الاعتبار حين كتبت وصيتها، فهذا لأن...

قاطعها لورنزو بمرارة: «مشاعرك؟! أي مشاعر هذه؟ أهي المشاعر نفسها التي دفعتك إلى التنمر على ابن عمي إلى أن مات؟».

لم يحاول لورنزو أن يخفي ازدراءه لها أبداً.

بانت على وجه كاترينا المتبرج بإتقان لطختان حمراوان من جرّاء غضبها.

- أنا لم أسبب الموت لجينو. أصابته سكتة قلبية.

- نعم، بسبب تصرفاتك.

- يجدر بك الانتباه إلى ما تتهمني به، لورنزو، وإلاّ...

علّق لورنزو: «هل تجرؤين على تهديدي؟».

أضاف بنبرة اتهامية: «ربما تمكنت من خداع جدتي، لكنك لن تستطيعي خداعي».

أدار لورنزو ظهره نحوها ليذرع قاعة كاستيلو الكبيرة بأرضها المرصوفة بالحجارة، فيما اشتد غضبه حتى بدا خطيراً ومفترساً كحيوان ضار محبوس في قفص. تحداها فيما استدار كي يواجهها قائلاً: «اعترفي! جئت إلى هنا بهدف الخداع والتلاعب بامرأة عجوز تحتضر، كي تحققي مآربك الخاصة».

اعترضت كاترينا: «أنت تعرف أن لا رغبة لي في مجادلتك، لورنزو. أجل ما أريده هو...».

ذكرها لورنزو ببرودة: «أعرف ما تريدينه... تريدين الامتياز، والمركز، والثروة التي ستحصلين عليها بزواجك مني، لذلك أصريت على امرأة عجوز تحتضر أن تغير وصيتها. لو كنت تملكين ذرة من العطف أو...».

قطع لورنزو كلامه باشمئزاز، ثم أضاف: «...لكنك بالطبع لا تتمتعين بأي مشاعر سامية، كما أعلم».

تلاشت الابتسامة عن شفتي كاترينا، وتصلب جسدها في عدوانية بفعل ازدراء لورنزو الشديد، فيما تخلت عن كل مظاهر البراءة. سخرت منه قائلة: «تستطيع أن تلقى عليّ اتهامات كما تشاء، لكنك لا تستطيع أن تبرهن أياً منها، لورنزو».

- ربما ليس في المحكمة، لكن هذا لا ينفي صحتها. أخبرني الكاتب العدل أنها اعترفت له بما دفعها إلى ذلك عندما استدعته إلى جانب سريرها كي تغير الوصية.

رأى لورنزو نظرة النصر الوقحة في عيني كاترينا.

- اعترف لورنزو! لقد تفوقت عليك. إذا كنت تريد الحصول على حصن كاستيلو - وكلانا يعرف أنك تريده - فعليك أن تتزوج بي. ما من خيار آخر.

ضحكت كاترينا، فيما رمت رأسها إلى الخلف لتظهر طول عنقها الحنطي اللون. أحس لورنزو برغبة مفترسة بأن يطبق يديه حوله، ويكبت تلك الضحكة الصادرة عنها. هو يريد الحصول على حصن كاستيلو فعلاً. يريده بقوة، وهو مصر على ذلك. لكنه مصر أيضاً على عدم الوقوع في فخ الزواج بكاترينا.

اتهمها لورنزو قائلاً: «قلت لجدتي إنني أحبك وإنني أريد أن أتزوجك. أخبرتها أن ترملك حديثاً بعد وفاة زوجك، ابن عمي جينو، سيجعل المجتمع ينتقد زواجاً سريعاً بيننا. أخبرتها أنك خائفة من أن تسيطر علي عواطفي وأتزوجك على أي حال، وبالتالي أجلب العار

لنفسي. أليس كذلك؟».

ثم أردف: «عرفت مدى بساطة تفكير جدتي، فخدعتها لتعتقد أنك تفتحين لها قلبك بسبب قلقك عليّ. قلت لها إنك تريدين حمايتي، ثم ساعدتها كي تصل إلى حل بتغيير وصيتها، فبدلاً من أن أرث حصن كاستيلو بعد وفاتها مباشرة، كما كانت قد أوصت سابقاً، لن أرثه إلا إذا تزوجت خلال ستة أشهر من وفاتها. وكأن ذلك كله ليس كافياً، استخدمت إغواء جديداً كي تقنعيها بإضافة شرط يقول إنني إن لم أتزوج خلال الأشهر الستة هذه فسوف ترثين أنت حصن كاستيلو. جعلتها تعتقد أن إضافة هذه التعديلات تسهل مسألة زواجي بك، إذ يمكنني القول إنني أنفذ شروط الوصية، ولا أتبع ما يمليه عليه قلبي».

هزت كاترينا كتفيها بازدراء قائلة: «لا تستطيع أن تثبت شيئاً مما تقوله».

عرف لورنزو أن ما قالته كاترينا صحيح. رد عليها بقسوة قائلاً: «أفشت جدتي أسرارها أمام الكاتب العدل، لكن لسوء الحظ، عندما استطاع أن يحذرني كان الأوان قد فات».

ابتسمت كاترينا ابتسامة متكلفة، وقالت: «فات الأوان كثيراً... بالنسبة لك».

- إذاً أنت تعترفين؟

ردت كاترينا: «ماذا لو فعلت؟ لا تستطيع أن تثبت شيئاً».

أردفت: «حتى لو استطعت. ما نفع ذلك؟».

- دعيني أوضح لك أمراً كاترينا. مهما كتبت جدتي في وصيتها، لن تصيري زوجتي أبداً. أنت المرأة الأخيرة التي قد أفكر بأن أعطيها اسمي.

ضحكت كاترينا وأجابت: «ليس لديك خيار».

لورنزو معروف بأنه خصم مرعب لا يرحم، وهو ينتمي إلى ذلك النوع من الرجال الذي يهابه الجميع ويحترمونه. إنه رجل تحلم النساء

بالحصول على التفاتة منه. كما أنه يتمتع بشجاعة نادرة، ووسامة ما بعدها وسامة، بالإضافة إلى مزيج من التعجرف والصرامة. إنه أحد الرجال الأكثر غنى ووسامة في إيطاليا. طوال فترة العشرينيات من عمره، كانت أعمدة أخبار المجتمع في الصحف مليئة بأخبار مغامراته، محاولة أن تخمن من هي المرأة ذات المركز المرموق التي ستصبح الدوقة. بالطبع، لم يبق لورنزو حتى سن الثلاثين من دون أي ارتباط رسمي بأي من النساء اللواتي رحن يطاردنه، بسبب عدم رغبة هؤلاء النساء في مشاطرته غناه ولقبه، أو في التمتع بالعلاقة الحميمة التي سيحصلن عليها عن طريق الزواج به.

نظر لورنزو إلى زوجة ابن عمه السابقة. إنه يحتقرها، لكنه يحتقر معظم النساء اللواتي عرفهن أيضاً، فبحسب معرفته بهن، كن مستعدات لإعطائه كل ما يريده لقاء كل ما يملكه: الثروة والعلاقات الحميمة. أما ما هو عليه حقاً من الداخل، فلم يدخل يوماً في قائمة اهتماماتهن. أفكاره، معتقداته، وكل ما هو عليه لورنزو دستي ليست بذات أهمية لدى النساء، بقدر ما يجذبهن ماله ومركزه الاجتماعي.

كررت كاترينا بلطف: «ليس لديك خيار آخر، لورنزو، إذا كنت تريد حصن كاستيلو، عليك الزواج بي».

سمح لورنزو لنفسه بأن يلوي شفتيه بازدراء ساخر قبل أن يقول: «عليّ أن أتزوج نعم. لكن ليس ثمة بند كتب فيه أنه ينبغي عليّ أن أتزوج بك. من الواضح أنك لم تقرأي وصية جدتي بتمعن».

ابيض وجه كاترينا، وفضحت عيناها الضيقتان ارتباكها وخيانتها.

- ماذا تعني؟ بالطبع قرأتها، وحفظتها! لقد...

أجابها لورنزو: «أكرر، لم تقرأي وصية جدتي الموقعة بتمعن. إنها تنص على أنه يجب عليّ أن أتزوج خلال الأشهر الستة التي تلي وفاتها، إذا كنت أريد أن أرث حصن كاستيلو. لكنها لم تحدد من هي المرأة التي ينبغي أن أتزوجها».

حدقت كاترينا به، غير قادرة على إخفاء غضبها. كلامه هذا سرق منها محيّاها الجميل الذي جعلها منذ صغرها تلاحق الموضة باستمرار، فحلت مكانه بشاعة طبيعتها الحقيقية.

- لا. لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً. أنت غيّرتها، وحورتها... أنت وذلك الكاتب العدل المتلاعب. لقد... أين كتب هذا؟ دعني أرى!

ارتمت كاترينا تقريباً على لورنزو، الذي قام باسترجاع الوصية التي كان قد رماها على الطاولة في وقت سابق. أمسكت الورقة بإحكام، وأخذت تقرأها ووجهها مليء بالغضب.

قالت بنبرة هستيرية: «أنت غيرتها. بطريقة ما، فعلت... أرادت جدتك أن تتزوج بي».

هز لورنزو رأسه يميناً ويساراً بتعابير جامدة، فيما راح يتأملها، وأضاف: «أرادت جدتي أن تعطيني ما اعتقدت أنني أريده، لكن من دون شك أنت لست المرأة التي أريدها».

فيما وقف لورنزو تحت الضوء المتلألئ للمشعل القديم، انعكست حركة رأسه السريعة وتكررت في ظلال اللهب.

صُمم كاستيلو ليكون حصناً أكثر منه منزلاً. أثناء عصر النهضة حرره أجداد دوق مونتسافرو من الأعداء، فصقلوا جدرانه المبنية من الحجر الصلب، وأضافوا عليه زخرفات تظهر الغنى الفني الذي تميز به عصرهم. لايزال الحصن حتى الآن يملك هالة من العظمة المرعبة والمهيبة، على غرار لورنزو نفسه الذي تظهر ظلال داكنة تحدد تجاويف بنية عظامه المنحوتة التي ورثها عن أجداده المحاربين. أما طول قامته وعرض كتفيه، فيؤكدان على قوة جسده الصلب. فيما يبدو فمه ذا شفتين رقيقتين مرسومتين بدقة، لكن عينيه هما ما يوقع النساء تحت تأثير سحرهما. من الغرابة أنهما فاتحتي اللون تميلان إلى اللون الرمادي، وهما مليئتان بإصرار عنيد. أما شعره فيبدو أنيقاً كثيفاً

وداكناً. سترته يدوية الصنع باهظة الثمن، وهو لا يحتاج إلى الاعتماد على إرث جدته المتوفاة كي يصير رجلاً غنياً، فقد حصل لنفسه ثروة خيالية بفضل إنجازاته الخاصة.

قد يظن البعض أن رجلاً يملك مثل هذه الثروة الهائلة هو رجل مخادع يعتمد أساليب ملتوية لتحصيل المال، إلا أن لورنزو لم يكن يملك الوقت الكافي لحماقات مماثلة، فقد كسب ماله ببساطة مستخدماً ذكاءه عبر استثماراته الصحيحة في الوقت الصحيح، فتمكن من مضاعفة الثروة التي تركها له أهله لتصبح ثروة هائلة. على خلاف ابن عمه المتوفي جينو، الذي سمح لزوجته الطماعة، التي أصبحت أرملته الآن، بتدميره من الناحية الاقتصادية. بالرغم من ذلك لم تتصرف كاترينا قط على أنها أرملة، أو على أنها زوجة حقاً.

مسكين جينو، فقد أحبها كثيراً. رفع لورنزو يده إلى جبينه، فشعر به رطباً من جراء التعرق. أهو بعض من الإحساس بالذنب؟ ادعاء صداقته هو الطريقة التي استخدمتها كاترينا في البدء كي تلفت انتباه جينو. كان لورنزو في الثامنة عشرة من عمره وكاترينا في الثانية والعشرين من عمرها حين التقيا للمرة الأولى. شعر بالانجذاب بسهولة إلى عزمها الشديد، لكن لم يمر الكثير من الوقت حتى اكتشف حبها للمغامرة، ولم يطل الأمر في الواقع حتى ألمحت له أنها تتوقع منه أن يقابل خدماتها العاطفية بهدايا باهظة الثمن، ونتيجة لذلك، أنهى علاقته العابرة هذه معها.

كان لورنزو لا يزال يتابع دروسه الجامعيةحين أوقعت كاترينا ابن عمه جينو في حبائلها. في المرة التالية التي رآها فيها كانت تضع خاتم الخطوبة، فيما كانت علامات العشق والوله بها ظاهرة على تعابير جينو. حاول لورنزو حينها أن يحذر ابن عمه ويطلعه على حقيقة خطيبته، لكن جينو كان واقعاً في حبها إلى أبعد الحدود، فلم يسمعه قط، بل اتهمه بالغيرة. في المرة الأولى التي تجادل فيها لورنزو مع

جينو اتهمه هذا الأخير بأنه يريد كاترينا لنفسه. لعبت كاترينا على هذه النقطة بطريقة ذكية جداً كي تبقيهما بعيداً عن بعضهما إلى أن تزوجت بجينو. في وقت لاحق تصالح لورنزو مع ابن عمه، إلا أن جينو لم يكف عن حب زوجته، بالرغم من خياناتها العلنية الوقحة له مع عدد من العشاق.

فيما كان لورنزو يستدير على عقبي قدميه، ويسير مبتعداً عنها، سألته كاترينا بحدة: «إلى أين أنت ذاهب؟».

نظر إليها من الجانب الآخر من القاعة، وأجابها ببرودة: «أنا ذاهب...».

أكمل بنبرة باردة كالثلج: «...لأجد لنفسي زوجة... أي زوجة. كان بإمكانك أن تحذريني بقرب وفاة جدتي، فأستطيع التواجد بقربها، لكنك اخترت ألا تفعلي، وكلانا يعرف السبب».

- لا يمكنك الزواج بامرأة سواي. لن أسمح لك.

- لا يمكنك منعي.

هزت كاترين رأسها يميناً ويساراً، وقالت: «لن تجد زوجة أخرى لورنزو. على الأقل ليس تلك الزوجة التي ترغب أنت في الزواج بها... ليس في وقت قصير كهذا. أنت مغرور جداً لتقبل بفتاة ريفية لا تملك مركزاً اجتماعياً، بالإضافة إلى...».

توقفت كاترينا قليلاً عن الكلام، ونظرت إليه نظرة تهكم، وأردفت بلطف: «إذا اقتضى الأمر سوف أخبر الجميع عن الطفل الذي كنت سأنجبه، والذي أجبرتني على التخلص منه».

ذكرها قائلاً: «طفل عشيقك! لم يكن طفل جينو. أخبرتني ذلك بنفسك».

- لكنني سوف أخبر الجميع أنه طفلك أنت. الكثير من الناس يعرفون أن جينو كان يعتقد أنك تحبني.

- كان يجب أن أخبره أنني أحتقرك.

أجابته كاترينا برضى: «لما كان سيصدقك».

أضافت بوقاحة: «تماماً كما أنه لم يكن ليصدق أن الطفل ليس طفله. ماهو شعورك حين تعلم أنك المسؤول عن حياة طفل لم يولد بعد لورنزو؟».

تقدم خطوة باتجاهها، ونظر إليها تلك النظرة الحانقة بعينيه الحادتي النظرات، فما كان من كاترينا إلاّ أن ركضت باتجاه الباب، وفتحته بقوة، ثم خرجت منه. شتم لورنزو بوحشية في سره، ثم عاد إلى الطاولة حيث رمى وصية جدته.

تملكه الغضب وعدم التصديق حين استطاع الكاتب العدل أخيراً أن يتصل به، ويؤكد مخاوفه، ويخبره كيف تمكنت كاترينا من التصرف على هواها. أزال الرجل اسمها عمداً من الوصية، فيما بقي فيها وجوب زواج لورنزو فحسب، من دون تحديد كاترينا كزوجة له.

قام الكاتب العدل، الذي يناهز عمره عمر جدة لورنزو، بالاعتذار منه،خشية أن يكون قد اقترف أي خطأ بعمله هذا، لكن لورنزو طمأنه إلى أنه لم يفعل.

في الواقع لولا تدخل الكاتب العدل، لاستطاعت كاترينا أن توقعه في شركها ببراعة. إنها محقة بشأن أمر واحد: لورنزو يريد الحصول على حصن كاستيلو.

الآن عليه أن يتعامل مع الوضع قبل أن يقوم بشيء يندم عليه لاحقاً. هذا ما فكر به لورنزو فيما مشى بخطى واسعة نحو الساحة متنشقاً رائحة المساء النقية، الخالية لحسن حظه من رائحة عطر كاترينا الثقيلة الخانقة.

٢- مجنون وتائهة

يجدر بها أن تستسلم، وتعود أدراجها، وهو الأمر الذي أقسمت ألاّ تفعله مطلقاً. هذا ما اعترفت به جودي بحزن لنفسها. لم يكن لديها أدنى فكرة عن مكانها، فيما راح ضوء القمر الساطع يضيء طبيعة قاحلة وغريبة، كادت تفقدها أعصابها. الأرض مليئة بنتوءات حادة من أحد الجانبين، وفي الجانب الآخر بدت مكسورة بصخور مثلمة منتشرة على سطحها.

استطاعت أن ترى كيف اتسعت الطريق الضيقة أمامها لتوفر مكاناً أفضل للمرور. بعزم شديد، توجهت نحو الطريق الواسعة، وأخذت تتقدم بدقة وبراعة كي تستدير باتجاهها.

فجأة سمعت صوتاً قوياً، وبدأت العجلات الخلفية للسيارة المستأجرة بالدوران فيما مالت السيارة نفسها بشكل مروع إلى جانب واحد. تنبهت جودي للوضع بشدة، فأوقفت السيارة فوراً، وترجلت منها. رأت إحدى العجلات الخلفية عالقة في حفرة عميقة، فيما بدت فارغة من الهواء.

آه! ماذا عساها تفعل الآن؟ من المؤكد أنها لم تعد تستطيع التحرك إلى أي مكان.

عادت جودي إلى السيارة بينما راحت تدلك رجلها المتألمة. شعرت بالتعب والجوع والتعاسة الفظيعة. فتحت حقيبتها وتناولت هاتفها الخلوي ثم محفظتها حيث تضع الأوراق المتعلقة بسفرها وسيارتها المستأجرة. ما إن حملت الهاتف حتى اتسعت عيناها بعدم

رضى، إذ وجدت أنه كان يعمل طوال الساعات الماضية، وبحسب مظهره لم يعد فيه أي مخزون من الطاقة. حين حاولت أن تطلب رقماً، أصدر الهاتف صوتاً مشؤوماً، وانطفأ ضوء الشاشة. آه! على الأرجح أنها تركته شغالاً، والآن فرغ مخزون البطارية. كيف أمكنها أن تكون بهذه الحماقة؟ إنها بحاجة إلى المساعدة، لكن أين ستجدها. أتبقى في مكانها وتنتظر أن يمر أحدهم بسيارته؟ هي لم تر أي مظهر من مظاهر الحياة، ولا حتى سيارة أخرى على بعد أميال. أتمشي؟ إلى أين؟ أتعود آلاف الكيلومترات إلى البلدة الأخيرة التي مرت بها منذ ساعات على ما بدا لها؟ أخذ الألم في رجلها يقضّ مضجعها. هل كان يجب عليها أن تخطئ بالطريق لتصل نحو الجبال العالية؟ جعلتها هذه الفكرة ترتعش قليلاً.

لم تر جودي سائقاً آخر طوال وقت قيادتها على هذه الطريق. لكن لابد أن أحدهم يستعملها لأنها رأت آثار عجلات فوق الغبار. نظرت في تلك اللحظة نحو الجبال، وكأنما القدر استجاب لمناشدتها، فقد تنبهت إلى أضواء بعيدة لسيارة أخرى تسرع نحوها.

جعلها ارتياحها تشعر بالضعف والدوار.

* * *

ضغط لورنزو بقوة كبيرة على دواسة الوقود في سيارته الفيراري السوداء، تاركاً العنان للمركبة القوية لكي تنفس عن غضبه. زاد سرعتها إلى حد يتطلب منه كل مقدار من براعته في القيادة، وهو يتحايل على الطريق المتعرجة أمامه.

تصرفت كاترينا بدهاء عظيم مستعملة طريقتها بالتلاعب على جدته. لوكان هنا... لكنه كان خارج البلاد، يتفقد موقع الكارثة العالمية الأخيرة، محاولاً إيجاد طرق لتخفيف تعاسة أولئك الذين أصابتهم. من خلال دوره التطوعي وغير الرسمي في الدولة يستطيع لورنزو توفير مساعدات مالية وعينية لهم، ومساعدة إدارية عملية

بالإضافة إلى الخبرة البشرية على الأرض. حدة هذه الكارثة بالذات منعته من العودة إلى إيطاليا لحضور مأتم جدته. تلك المرأة اللطيفة الحنونة السلسة الطباع، التي أخبرته ذات يوم عن أمنيتها حين كانت فتاة صغيرة بأن تصبح راهبة، ماتت بسلام أثناء نومها.

انتقل حصن كاستيلو إلى جدته من زوجها الأول، وهو ابن العم الثاني لزوجها الثاني الذي هو جد لورنزو. وكما هو الحال في العائلات الأرستقراطية الكبيرة، أصبح الحصن بتصرفها تورثه لمن تشاء بعد مماتها.

كان لورنزو المفضل بين حفيديها، وهو يعرف ذلك، فقد أمضى العطل معها بعد طلاق والديه. في الواقع، جدته هي الشخص الذي لجأ إليه حين أعلنت أمه أنها ستتزوج عشيقها، وهو رجل يكره لورنزو. لم يستطع أن يسامح أمه قط على ما فعلته، حتى موتها وموت والده قبلها. تصرفاتها الأنانية فتحت عينيه على رؤية الأساليب المخادعة الأنانية التي تستخدمها النساء للوصول إلى مآربهن، بالإضافة إلى سعيهن إلى إعطاء أنفسهن الأولوية في كل شيء، في الوقت الذي يدعين قداسة لا يملكنها. لطالما أصرت أمه على القول إنها اتخذت قرارها بطلاق والده كي توفر عليه عناء النشوء في منزل غير سعيد. لقد كذبت بالطبع، فمشاعره لم تكن من أولى اهتماماتها حين ارتمت بين ذراعي حبيبها، وفضلته على زوجها وابنها.

راحت سيارة الفيراري تزمجر بسبب حالة الطريق التعيسة. تجاهل لورنزو تذمرها وغيّر ناقل الحركة، لينطلق بقوة نحو زاوية حادة. شتم في سره عندما رأى أمام عينيه سيارة تسد الطريق وامرأة يافعة تقف بقربها.

أجفلت جودي ما إن سمعت صرير الفرامل، ورأت سيارة الفيراري تتوقف على الغبار بصعوبة. في الواقع، توقفت على بعد بضع إنشات فقط من سيارتها المستأجرة. وقفت جودي بحركة

تلقائية، بدلاً من البقاء مستندة إلى سيارتها لحظة رؤيتها للسيارة الأخرى. من هو ذلك المجنون الذي يقود بمثل هذه السرعة على طريق وعرة، وفي الظلام أيضاً؟ تساءلت جودي بحيرة، ممسكة باب السيارة لتستند إليه، فيما راقبته يحل نفسه من حزام الأمان، ليترك مكان السائق ويتوجه نحوها.

تباً! تبع عبارة التذمر هذه مجموعة من الكلمات الإيطالية المزمجرة المزدرية التي وجهها إليها. لكن جودي لن تسمح له أن يرهبها، كما لن تسمح بذلك لأي رجل آخر أبداً. قاطعته بنبرة قاسية كنبرته: «هل انتهيت؟».

ثم أردفت: «أولاً أنا لست إيطالية. أنا انكليزية و...».

- إنكليزية؟

بدا كأنه لم يسمع هذه الكلمة من قبل، فيما أضاف: «ماذا تفعلين هنا؟ لمَ أنت هنا؟ هذه طريق خاصة تؤدي إلى حصن كاستيلو فقط».

راحت الأسئلة تنهال عليها كخناجر صغيرة حادة. دافعت جودي عن نفسها قائلة: «أخطأت في اتجاه الطريق. كنت أحاول أن أعود أدراجي، لكن علقت عجلة السيارة، وهي الآن فارغة من الهواء».

بدت جودي شاحبة ونحيلة. عيناها كبيرتان جداً في وجهها الصغير المتعب الذي اتخذ شكل المثلث. بدت كأنها فتاة في السادسة عشرة من عمرها تعاني من سوء التغذية. هذا ما اعتقده لورنزو، فيما جالت نظرته من رأسها حتى أخمص قدميها بعيني رجل خبير. لم يشعر بأي انجذاب نحوها وهو يلاحظ تدلّي كتفيها، ونحول خصرها ووركيها، والطول غير المتوقع لرجليها المكسوتين بسروال أزرق والمتصلتين بذلك الحجم الصغير. أتراها تنتعل حذاء ذا كعبين أم أن رجليها هما حقاً بالطول الذي تبدوان عليه؟

سألها لورنزو: «كم عمرك؟».

كم عمرها؟! ما هذا السؤال، بحق السماء؟

أجابته برصانة: «ستة وعشرين سنة».

رفعت ذقنها بكبرياء كي تنظر إليه مصرة على عدم السماح له بمضايقتها، بالرغم من شعورها بالحذر بسبب وسامته الخارقة. أرادت أن تهرع بعيداً وتختبئ قبل أن يدرك مدى ضعفها المثير للشفقة أمامه. امتدت يدها بصورة تلقائية إلى رجلها التي تؤلمها. إنها تؤلمها فعلاً.

ستة وعشرون! عبس لورنزو فيما نظر إلى يديها الخاليتين من الخواتم. سألها: «لمَ أنت هنا بمفردك؟».

ضاقت جودي ذرعاً بأسئلته، مع ذلك أجابته: «لأنني بمفردي. هذا ليس من شأنك».

- بل هو من شأني، لأنك سمحت لنفسك بالتعدي على أرضي.

أرضه؟! هناك احتمال كبير بأن تكون هذه الأرض أرضه، فهي تتميز بالتعجرف والقساوة مثله تماماً.

سمعته جودي يسألها: «أتعنين حقاً أنك بمفردك؟».

أضاف بتأنٍ: «بالطبع لديك... زوج، أو حبيب، أو شريك في حياتك».

أجفلت جودي، ثم ضحكت بمرارة. بالطبع، هذا الرجل غافل تماماً عن الجراح التي يحركها كلامه. ردت بغضب: «ظننت أنني حظيت بواحد، لكنه لسوء الحظ، قرر الزواج بامرأة أخرى وهذا...».

أومأت جودي إلى منظر الطبيعة أمامها وإلى السيارة، وأكملت: «من المفترض أن تكون هذه فترة شهر عسلنا، أما الآن...».

مجرد تفوهها بالكلمات آلمها، لكن يا للغرابة! لاحظت أنها شعرت بنوع من الارتياح لتمكنها من التعبير عن مشاعرها بدل كبتها في داخلها. تحداها لورنزو قائلاً: «الآن أنت تسافرين وحيدة، فهل تبحثين عن رجل آخر يحل مكانه في سريرك؟ المنتجعات الساحلية هي المكان المثالي لذلك لا الجبال».

تنفست جودي بغضب وحنق. سمعت نفسها تقول: «كيف تجرؤ على قول هذا؟ أنا بالطبع لست أبحث عن رجل يحل مكانه. في الواقع هذا آخر شيء أود فعله».

أردفت: «لن أدع شخصاً آخر يدخل حياتي كي يؤذيني... أبداً. من الآن فصاعداً، أنوي أن أعيش بمفردي ولذاتي».

كلمات جسورة، لكنها عنت كل حرف منها.

عبس لورنزو، وهو يسمع في صوتها حدة وعزماً نابعين من صميم قلبها.

- أما زلت تشعرين بالحنين إليه؟

- لا!

أجابته جودي بقوة، من دون التوقف أو التساؤل عن سبب أسئلته الشخصية هذه. أردفت: «لا! أنا لا أريده أبداً».

- إذاً لمَ أنت هنا؟ ألست هاربة من مشاعرك؟

أجابت بنبرة دفاعية حين لاحظت الطريقة التي ينظر فيها لورنزو إليها: «لست هاربة، لكنني لا أريد أن أتواجد هناك، وأراه يتزوج بامرأة سواي».

أضافت باشمئزاز: «لاسيما أنها تتمتع بكل المزايا التي لا أملكها... هي جذابة، فاتنة، وجميلة».

رفعت جودي يدها نحو وجهها لتمسح الدموع التي ملأت عينيها فجأة. لم يكن لديها أدنى فكرة عن سبب تحدثها عن هذه الأمور لشخص غريب التقته للتو، معترفة له بأشياء لم تعترف بها لنفسها قط.

- الرجل هو الذي يحدد إذا كانت المرأة جذابة أم لا.

علّق لورنزو بذلك فيما هو مأخوذ بهذا الحوار الغريب مثل جودي تماماً. أضاف ساخراً، فيما راقب اللون يظهر ويختفي في وجهها الشاحب الذي بدا التعب واضحاً عليه: «العاشق الماهر يستطيع أن يخلق زهرة كاملة من أشد البراعم ضعفاً».

شعرت جودي بالصدمة من كلامه ويتقلص في معدتها، فيما استوعبت معنى جملته المتعجرفة. أجابته بجدية: «ليس هناك الكثير من الفتيات اللواتي يمكن تشبيههن بالبراعم الضعيفة في أيامنا هذه، نساء اليوم يعتبرن أنفسهن موازيات للرجال في حقهن بالتمتع بالعلاقات العاطفية فهن لا...».

ردّ لورنزو بسخرية: «لا يبدو لي أنك أنت نفسك فعالة جداً في مطالبتك بذلك».

أردف: «في الواقع، أظن أن خبرتك ضئيلة جداً وإلا لما سمحت لامرأة أخرى أن تخطف خطيبك منك».

آراؤه المتكبرة أذهلتها، وأغضبتها على السواء، لكنها أجبرت على الاعتراف بأن خبرتها في هذا المجال معدومة. أطلقت تنهيدة من أعماق قلبها. في الواقع هو لم يضف الكثير إلى ذلها الموجود أصلاً عبر إدراكه بأنها ما زالت عذراء. فجأة تذكرت جودي تلك الأشهر التي قضتها في المستشفى بعد تحطم السيارة ووفاة والديها، وإصابتها بجروح خطيرة. تلك المعاناة سرقت جزءاً كبيراً من حياتها.

أكمل لورنزو بقساوة: «لهذا السبب على ما أفترض أنت تمزجين ما بين العلاقة الجسدية وبين الحب، فالحب شعور تطالب به أنوثتك التي تم إساءة تقديرها، فباتت من دون قيمة».

- أنوثتي؟!

قبلت جودي التحدي سريعاً، فيما شع دفء عينيها الذهبيتين بلون كهرماني لامع.

- نعم. هل تنكرين أن النساء أصبحن اليوم متطلبات تماماً كالرجال، وأن الأسباب التي تقودهن إلى الزواج تعتمد على أنانيتهن ومشاعرهن وحاجاتهن السطحية؛ حاجات تأتي برأيهن قبل حاجات أي شخص آخر حتى قبل الأولاد الذين يلدنهم؟

المرارة التي سمعتها جودي في صوت لورنزو صدمتها كثيراً، فلم

تتفوه ببنت شفة، لكنها سارعت إلى الدفاع عن نفسها قائلة: «إذا كانت خبرتك قد أعطتك هذه الفكرة فلربما تكون أنت الشخص الذي تقع عليه الملامة».

– أنا؟ أتظنين أن الذنب يقع على الطفل إن تخلت أمه عنه؟ يا له من تفكير غريب! كلامك هذا يؤكد ما قلته للتو.

بدأت جودي تقول بنبرة دفاعية: «لا! ليس هذا ما قصدته...».

لكن فات الأوان، فلورنزو تجاهل كلماتها، ليسألها بنبرة أرستقراطية: «ما اسمك؟».

– جودي. جودي أوليفر. وأنت، ما اسمك؟

سألته السؤال نفسه بحزم، كي لا يتفوق عليها. للمرة الأولى منذ أوقف سيارته، شعر لورنزو بتردد في داخله قبل أن يقول ببرودة: «لورنزو».

تحاذقت جودي قائلة: «الرائع».

احمر وجهها حين نظر إليها.

الرائع! لطالما كانت هذه الطريقة الساخرة التي يستخدمها جينو للتعبير عن ذاته، زاعماً أنه لا عجب إذا كان ناجحاً جداً وهو يحمل اسم أحد أشهر حكام أسرة مديتشي الإيطالية.

سألها: «هل تعرفين تاريخ مديتشي؟».

أجابت بنبرة حيادية، وقد فقدت فجأة الرغبة بإطالة الحديث مع شخص غريب: «القليل منه».

بدأت جودي تشعر بالتعب والضعف الشديدين، فأضافت: «اسمع! أريد أن أتصل بشركة تأجير السيارات لأخبرهم عمّا حدث لهذه السيارة، لكن هاتفي الخلوي معطل. هل يمكنك...؟».

لابد أنه عائد إلى البلدة التي مرت بها، إذ ما من مكان آخر يذهب إليه. إذا أخذها إلى هناك، قد تتمكن من إيجاد غرفة تقضي الليلة فيها، والاتصال هاتفياً بالأشخاص المعنيين بتأجير السيارات.

سألها لورنزو: «هل يمكنني ماذا؟».

وأردف: «مساعدتك؟ بالطبع».

بدأت جودي تشعر بالارتياح، قبل أن يضيف لورنزو بهدوء: «شرط أن توافقي على مساعدتي».

على الفور أخذت إشارات التحذير تومض برسائلها دخل رأسها، ما جعلها تشعر بالتوتر.

كررت بحذر: «مساعدتك؟».

– نعم. أريد زوجة.

بدا لورنزو مجنوناً، فاقداً لعقله بكل ما للكلمة من معنى. فكرت جودي أنها تقف في طريق معزولة مع رجل مجنون. استطاعت أن تسأله وكأن ما طلبه منها أمر طبيعي تماماً: «أنت... تريدني أن أساعدك كي تجد زوجة؟».

ضغط لورنزو شفتيه على بعضهما، ونظر إليها نظرة ملؤها الشك. أجابها ببرودة: «لا تكوني سخيفة! لا، لا أريدك أن تساعديني كي أجد زوجة. أريدك أن تصبحي زوجتي».

٣ ـ لست هاربة

كررت جودي على مهل: «أتريدني أن أصبح زوجتك؟».

ثم أردفت: «أنا آسفة، لكن...».

قاطعها لورنزو بلا اهتمام: «أنت لا تريدين الزواج أبداً. نعم، أعلم».

أكمل يقول: «لن يكون هذا زواجاً عادياً. أنا بحاجة إلى زوجة في غضون الأسابيع القليلة المقبلة. اطمئني! رغبتي هي تماماً كرغبتك بالارتباط بالرغم من اختلاف الأسباب بيننا، لذلك أرى أننا نستطيع أن نصل إلى اتفاق متبادل ناجح: أحصل أنا على الزوجة التي أحتاجها، وتحصلين أنت في المقابل على الطلاق بعد زواجنا لمدة اثني عشر شهراً، بالإضافة إلى مبلغ مليون جنيه إذا شئت».

طرفت جودي بعينيها، غير متأكدة أنها سمعت ما سمعته.

- أتريدني أن أوافق على الزواج بك، والبقاء معك لمدة اثني عشر شهراً؟

- سأعوض عليك حق التعويض مقابل الوقت الذي تقضينه معي. ما أطلبه هو وقتك ومركزك كزوجة لي. وجودك في سريري لن يكون جزءاً من الاتفاق.

قالت جودي بصراحة: «أنت مجنون!».

أضافت باستهجان: «أنا لا أعرف شيئاً عنك، كما...».

- تعرفين أنني مستعد لأدفع لك مليون جنيه لتكوني زوجتي، أما بالنسبة إلى الباقي...

هز لورنزو كتفيه القويتين بتعجرف، ثم قال باختصار وقلة اهتمام: «سيكون لدينا الوقت لاحقاً لأشرح لك كل ما تريدين معرفته».

من حقها أن تشعر بالخوف حتى الموت، هذا ما فكرت به جودي. لكن بالرغم من حقيقة أنها تقف وحدها مع رجل مجنون، فإن الشعور الأهم الذي غمرها لم يكن الخوف بل الذهول. الذهول بالإضافة إلى حس ما بأن القدر كان يستمع إلى أفكارها السرية، فقرر التدخل في حياتها. أتراها وجدت الرجل الذي لطالما أرادته كبرياؤها؟ هل هي مجنونة أيضاً؟ بالطبع هي لا تفكر في قبول عرضه السخيف!

- إذا كنت تريد الحصول على زوجة فلا بد أن تكون امرأة...

أوقفها لورنزو بتهكم: «هناك الكثير منهن، لكن لسوء الحظ كلهن يرغبن بما لا أريد إعطاءهن إياه. أليس من الغرابة أن تعلن المرأة بسهولة حبها اللامحدود حين يتدخل المال والمركز الاجتماعي؟».

أجابته جودي بنبرة لاذعة: «أتعني أنك ملاحق من قبل صائدات الثروات؟».

بدا من الواضح أنه غني، ليس فقط من خلال سيارته وملابسه، بل من خلال طريقة تصرفه أيضاً. أضافت: «هل سبب رغبتك في الزواج بي هو أن زواجاً زائفاً كالذي تقترحه سيبقي خطرهن بعيداً؟».

- ليس تماماً.

- ماذا إذاً؟

- هناك شرط في وصية جدتي المتوفاة يحتم علي أن أتزوج خلال فترة وجيزة من وفاتها، كي لا أخسر... شيئاً يعني لي الكثير.

تجعدت جبهة جودي وعلاها عبوس طفيف.

- لمَ فعلت هذا بحق السماء؟ أعني، لمَ لم تقرر بشكل حاسم إن كانت تريدك أن ترث نصيبك أم لا؟

- المسألة أكثر تعقيداً من ذلك، وتتضمن الكثير من...

المشاكل. لنقل إنه تم إقناع جدتي بأن تفعل شيئاً اعتقدت أنه لمصلحتي، من قِبل شخص يعمل وفق برنامجه الخاص.

انتظرت جودي حتى فرغ من كلامه. بعدئذٍ أمسك لورنزو يدها، وقال: «أعطني مفاتيح سيارتك و...».

هزت جودي رأسها يميناً ويساراً، قائلة: «لا!».

إن لم تكن قد صرفت النظر عن الرجال كلياً في حياتها بعد، فهذا الرجل وتعجرفه اللامعقول سيجعلانها تفعل ذلك. هذا ما قررته جودي غاضبة. في الوقت نفسه، طرأ على رأسها احتمال مغرٍ وماكر: ماذا لو وافقت على عرضه، شرط أن يرافقها لورنزو إلى زفاف جون ولويس؟ بما أن أهل البلدة كلهم مدعوون، فإن شخصين آخرين لن يسببا أي مشكلة. اعترفت جودي في سرها أن هناك جزء منها يتألم بما فيه الكفاية، وأنها كامرأة ترغب فعلاً بأن تتواجد هناك، مظهرة للثنائي المتزوج حديثاً أنها لا تهتم لخيانتهما، بل إنها اتخذت لنفسها شريكاً جديداً أيضاً. أليس ثمة مثل يقول: «الحياة السعيدة هي الانتقام الأفضل»؟

كيف يمكن لخطيبة غير مرغوب فيها أو مرحب بها أن تنتقم بطريقة أفضل من التباهي بشريك جديد أكثر ملاءمة ووسامة؟ فما بالك بشريك يريد أن يتزوجها بكل ما أوتي من رغبة؟

انتشلت نفسها من أفكارها تلك، فانتقل ذهنها إلى مشهد إذلالها بفعل نبرة لورنزو المتعجرفة اللامقبولة: «لا؟».

من السخافة أن تفكر في القيام بأمر سطحي كهذا. أليس من السخافة أيضاً أن تسمح لشخص كلورنزو بأن يؤثر عليها لمجرد قضائها بضع دقائق فقط برفقته؟ حسناً! لا يمكنها أن تنقاد وراء رغبتها بالانتقام فتوقع نفسها في ورطة أكبر. حاولت جودي أن تقوم بالتصرف السليم، وتقول للورنزو بحزم: «حتى شخص مثلك، اعتاد الحصول على كل ما يريده، يجب أن يلاحظ أن ما تقترحه

ليس...».

- أتقولين إن مليون جنيه ليست كافية؟ أهذا ما تحاولين قوله؟

التهب وجه جودي بالغضب. أجابت: «ليس للمال علاقة بهذا».

النظرة الساخرة التي رمقها بها لورنزو جعلتها تزداد غضباً، فأردفت: «أنا لست للبيع. ليس لجون وحتماً ليس لك».

- جون؟!

بدا لورنزو كما لو أنه اقتنص صيداً ثميناً بمعرفة هذا. راح ينظر إليها كما تنظر هرة كبيرة ملساء إلى فأرة صغيرة. لكنها ليست فأرة، وهي لن تسمح لأي رجل أن يتنمر عليها أبداً. رفعت جودي رأسها، وقالت له ببرودة: «إنه خطيبي السابق. هو قدّم لي المال أيضاً، لكن بدافع شعوره بالذنب، لأنه لم يعد يرغب في الزواج بي. أرادني أن أكون أنا من يفسخ الخطوبة، كي لا يتهمه أحد بتركي. من الواضح أنكما تتشاركان العقلية المتسلطة ذاتها. مثلك تماماً، اعتقد جون أنه يستطيع أن يشتري كل ما يريده بغض النظر عن شعوري».

بالرغم من محاولاتها أن تظهر غير متأثرة، كسا عينيها مزيج من الحزن والسخرية. التوى فمها قليلاً فيما أضافت: «اعتقد أنه قدم لي خدمة. عدم اهتمامه بي، وعرضه المال مقابل فسخ علاقتنا جعلاني أدرك أنني أفضل حالاً من دونه».

- لكنك رغم ذلك مازلت تريدينه.

تلك العبارة جعلت قلبها ينبض باضطراب. أجابت بسرعة: «لا!».

- إذاً لمَ هربت؟ إن لم تكوني خائفة من المشاعر التي لا تزال تجتاحك تجاهه؟

- لم أهرب! أنا في عطلة الآن، وحين أعود...

بدت الحركة اللاإرادية البسيطة لكتفيها حين هبطا ما إن فكرت بأمر العودة إلى منزلها، إشارة واضحة لإدراكها حقيقة واقعها. حين

تعود... ماذا؟ ليس لديها عمل لتعود إليه أصلاً. ليس الآن على الأقل. ما من منزل، بعد بيعها لبيتها الصغير. وحتى لو لم تفعل ذلك، فهي تشك في رغبتها في البقاء هناك مع كل ذكريات سعادتها المزيفة. لكنها تستطيع العودة ورأسها مرفوع حين تكون برفقة رجل يمكنها القول إنه زوجها حقاً. هذا ما ذكرت جودي به نفسها.

ثم ماذا؟ سبق للورنزو أن قال لها إن الزواج سيوف يدوم اثني عشر شهراً فقط. بعدئذٍ يمكنها أن تهز كتفيها كما تفعل الكثيرات، قائلة إن علاقتهما لم تنجح.

سمعت جودي لورنزو يقول، وكأنه قرأ أفكارها: «بعد اثني عشر شهراً، يمكنك العودة مع مليون جنيه في حسابك المصرفي».

بدا العرض مغرياً جداً لتستسلم وتوافق. شعرت بالغضب الشديد منه لأنه وضعها في موقف مغرٍ. أين الوعد الذي قطعته على نفسها بألا يتلاعب بها رجل بعد اليوم؟ دفعت جودي نفسها بعيداً عن حافة الاستسلام، وهي تصر أسنانها.

قالت له بصرامة: «إذا كنت تريد زوجة فعلاً، لمَ لا تفتش عن واحدة من دون استخدام مالك؟ لمَ لا تقترن بامرأة تريد الزوج بك لأنها تحبك وتؤمن أنها وجدت فتى أحلامها، وأنك الرجل الذي يستحق احترامها وثقتها، و...؟».

لاحظت جودي الطريقة التي ينظر بها لورنزو نحوها. هزت رأسها يميناً ويساراً، وأضافت: «آه! ما جدوى ذلك؟ الرجال أمثالك وأمثال جون متشابهون، فهم يقدّرون المرأة التي يستطيعون التباهي بها وإثارة حسد الرجال الآخرين. جلّ ما تريده هو امرأة تستطيع شراءها، فتتمكن بذلك من السيطرة عليها وعلى علاقتك بها. حسناً! أنا لست من ذلك النوع من النساء، لذا لن أتزوج بك».

استدارت جودي عنه، فاستطاع لورنزو أن يشعر بالغضب يفور في داخله. هل ترفض هذه المرأة عرضه بالزواج؟ هذه... هذه السائحة

النحيلة. هذه المرأة التي رفضها رجل كان قد وعدها بالزواج علناً. ألم تدرك لتوها ما يقدمه لها، أو كم هي محظوظة؟ الزواج به سوف يحولها من امرأة غير مرغوب فيها إلى زوجة رجل ثراؤه يشتري خطيبها السابق مئات الألوف من المرات. سوف ترتفع إلى مركز اجتماعي تحلم به معظم النساء. سوف يتودد إليها الأغنياء والمشهورون، وإذا كانت ذكية إلى حدٍّ كافٍ وعرفت كيف تستثمر الأموال التي ستحصل عليها بعد انتهاء الزواج، فقد تجد لنفسها زوجاً آخر. سوف يرغب الكثير من الرجال بالزواج من امرأة اختارها رجل مثله.

حسناً! إنها ليست خسارة بالنسبة له. لن تصمد جودي يوماً واحداً أو حتى اثنتي عشرة ساعة بعد أن تغرز كاترينا فيها براثنها. ربما من الحماقة أن يضيع وقته عليها. بإمكانه أن يقود نزولاً إلى الساحل، ويجد عشرات النساء المتلهفات لاقتناص تلك الفرصة في غضون ساعة واحدة فقط. ردّ لورنزو وهو يدير ظهره لها، فيما مشى بخطى واسعة نحو سيارة الفيراري مجدداً: «حسناً!».

اتسعت عينا جودي في صدمة صامتة، وهي تراقبه يبتعد عنها. هل سيتركها في ذلك المكان؟ هل سيفعل حقاً؟

- لا، انتظر!

صاحت وهي تلحق به بخطى سريعة، لاهثة بسبب الألم في رجلها الضعيفة. تحوّل الغضب إلى خوف، لم يهدأ إلا حين توقف لورنزو أخيراً، واستدار نحوها. أردفت: «أحتاج إلى الاتصال بشركة تأجير السيارات وإعلامها بما حصل».

حذرها لورنزو ببرودة: «لن تسرهم معرفتهم بحادث تحطم السيارة. أتمنى أن تكوني قد جلبت معك الكثير من المال».

اعترضت جودي: «الدي تأمين».

إلا أن عقدة صلبة باردة تشبثت بمعدتها حين تذكرت تحذير ابن

عمها من المشاكل التي قد تواجهها في حال تورطها بحادث سيارة.

- أشك في أن هذا سيساعدك، لاسيما حين أعلم السلطات أنك كنت تقودين على طريق خاصة. أنت لم تخاطري بحياتك فحسب، بل بحياتي أنا أيضاً. ستحتاجين إلى محامٍ كفوء جداً، وهذا سوف يكلفك الكثير.

اعترضت جودي قائلة: «لكن هذا غير صحيح. لم تكن هنا حتى عندما...».

اختفى صوتها تدريجياً وهي ترى النظرة في عينيه. اتهمته قائلة: «أنت تحاول إخافتي و... ابتزازي».

هز لورنزو كتفيه، وأكمل سيره إلى السيارة. راقبته جودي وهو يفتح الباب، بينما راحت مشاعرها تستعر بنار الغضب. لورنزو هو الرجل الأكثر قسوة وفظاعة بين من التقتهم في حياتها. إنه متعجرف أناني، وهو آخر رجل قد ترغب بالزواج به لأي سبب كان. لكن صوتاً منطقياً وعملياً داخل رأسها أخبرها أن الوقت تأخر، وأنها بعيدة مسافة أميال عن أي مكان، وهي وسط طريق خاصة، ولا أمل لها سوى هذا الرجل الذي هو على وشك أن يتركها هنا.

شغل لورنزو المحرك استعداداً لأن يمر بالقرب منها. سيطر عليها الرعب، فأخذت تركض باتجاه السيارة لاهثة بفعل الألم في رجلها الضعيفة. رمت بنفسها على باب السائق وارتطمت به.

من دون أي تعبير يذكر، فتح لورنزو النافذة. قالت له: «حسناً! سأفعل ذلك».

وأردفت: «سأتزوجك».

راح لورنزو يحدق بها بلا اهتمام، ما دعا جودي إلى الاعتقاد أنه غيّر رأيه.

- هل أنت موافقة على الزواج بي؟

هزت جودي رأسها بالإيجاب، ثم زفرت مرتجفة لكن بارتياح،

فيما فتح لورنزو الباب إلى جانبه، وقال بنبرة فظة: «أعطني مفاتيح سيارتك، وانتظري هنا بينما أحضر أغراضك».

بالرغم من أن الليلة دافئة، إلا أن القلق والإرهاق جعلاها ترتجف قليلاً. ارتجفت أصابعها من جراء اللمسة المجردة لليد التي امتدت لتأخذ مفاتيح سيارتها. لاحظت جودي أن يديه طويلتان وأنيقتان وذات أصابع نحيلة وقوية، على خلاف جون الذي تميز بيدين سمينتين وأصابع قصيرة. لمسة هاتين اليدين أرسلت ارتعاشات خطيرة وخزت مناطق دفاعها الضعيفة، ما جعل إجفالها العاطفي أقوى بكثير من إجفالها الجسدي من لمسته.

تجهم وجه لورنزو فيما خرج من سيارة الفيراري ومشى بخطى كبيرة نحو سيارة جودي المستأجرة، ليفتح صندوق السيارة. إجفالها بسبب لمسته أكد له عدم خبرتها في العلاقات مع الجنس الآخر. في الواقع، المرة الأخيرة التي رأى فيها امرأة ناضجة تتراجع على هذا النحو من لمسة رجل عادية كانت في المرة الأخيرة التي زار بها جدته، وذلك حين جلس معها يشاهد أحد الأفلام القديمة بالأبيض والأسود، تلك الأفلام التي كانت تحبها كثيراً. يعيش لورنزو في عالم مليء بأشخاص معقدين لا مبالين، عديمي الخبرة، إلى جانب أولئك الأغنياء والأرستقراطيين: عالم تقوده السخرية، ويحكمه الطمع والأنانية والحسد. لذا فإن لديه أسباباً كافية تدفعه للاعتقاد بأن القوة لا تجتمع مطلقاً مع البراءة. جودي أوليفر لن تصمد شهراً واحداً في ذلك العالم.

نفض لورنزو أفكاره بعيداً، فنجاتها ليست من ضمن اهتماماته. لديه اهتمامات أخرى بشأنها، أما هي، فليست سوى وسيلة يحقق بها مبتغاه لا أكثر. هل يريد الزواج بها حقاً؟ تجهم وجهه أكثر. من أين برزت تلك الفكرة؟ لم يرغب بالزواج من أي امرأة من قبل، فما بالك بامرأة نحيلة يافعة، صفراء الوجه، محطمة القلب؟

نظر لورنزو إلى حقيبتها الصغيرة التي انتشلها من صندوق السيارة، ثم توجه ليتفقد داخل السيارة. سألها بسخرية فيما نقل أغراضها إلى الفيراري: «كم من الوقت تنوين البقاء بعيداً عن منزلك؟».

احمر وجه جودي بفعل ما أشار إليه في صوته. قالت بنبرة دفاعية: «الذي ما يكفي احتياجاتي».

بالطبع هي لن تقول له إنها اختارت حقيبتها الصغيرة تحديداً لأنها خفيفة وسهلة الحمل، وإن آخر شيء أرادته وهي توضب أغراضها هو الإتيان بتلك الثياب الجميلة التي اشترتها خصيصاً لشهر العسل.

أحست بحميمية مربكة بفعل تواجدها في مكان ضيق كهذا مع رجل مثله. رائحة الجلد ذكرتها بشدة بجون، حين ذهب لشراء سيارة جديدة واصطحبها معه. يومها زارا صالة عرض بعد أخرى، فيما تفحص بإعجاب السيارات الفخمة. لكن أياً منها -مهما كانت باهظة الثمن- لا تضاهي هذه السيارة. هذا ما فكرت به جودي، فيما تنبهت حواسها فجأة إلى الرائحة المنعشة اللطيفة التي تشبه رائحة الخشب لعطره الرجولي ممزوجة برائحة بشرته المليئة بالحيوية.

سألته مشككة: «إلى أين سنذهب؟».

- إلى الكاستيلو.

الكاستيلو بدا لها مكاناً ضخماً جداً، لكن بعد خمس دقائق رأت الصخور الشاهقة ترتفع بوضوح على جانبي الطريق، فعرفت أنه حصن مبهرج أكثر منه قصراً ضخماً. بل هو أشبه بمكان ينتمي إلى عصر أقل تحضراً، عصر كانت القوة تقدّر فيه أكثر من الصواب. عصر يلائم تماماً الرجل الجالس بجانبها، هذا ما فكرت به بتجهم.

وصلا إلى الكاستيلو عبر مدخل ضيق تعلوه قنطرة. اضطرت جودي أن تطرف بعينيها كي تطرد الصور الذهنية التي تراءت لها لرجال مدرعين يعلنون وصولهم. كانت الساحة الخالية مضاءة باللهب المتأتي من الشمعدان الجداري الحديدي الضخم، الذي يرمي ظلالاً

متحركة على الجدران الحجرية بنوافذها المستطيلة الضيقة.

سمعت جودي نفسها تقول للورنزو: «يا لهذا المكان الرائع!».

- يعود الكاستيلو إلى زمن كان فيه الرجال يبنون الحصون بدلاً من المنازل. أحذرك أنه ليس مضيافاً من الداخل كما يبدو من الخارج.

- هل تعيش هنا؟

لم تستطع جودي أن تزيل نبرة الانزعاج من صوتها.

- لا! جدتي كانت تعيش هنا.

- إذاً، أين تعيش أنت؟

بدأت جودي بالكلام، ثم توقفت مشككة فيما رأت الطريقة التي ضغط بها شفتاه على بعضهما. من الواضح أنه امتعض من أسئلتها. فتح لورنزو باب السيارة، فلوت أنفها يميناً ويساراً، فيما شمت رائحة لاذعة لشيء يحترق.

قالت له: «ثمة شيء يحترق».

هز لورنزو رأسه، وأجاب بنبرة جدية: «هذا مزيج الخشب والزفت المستخدم في الشمعدان. بعد قليل ستعتادين الأمر إلى حد أنك لن تلاحظيه».

بعد قليل؟ هل يعني أنها ستعيش هناك... في مكان لا تصله الكهرباء؟

وكأن لورنزو قرأ أفكارها، إذ قال: «فضلت جدتي طريقة الحياة القديمة. لحسن الحظ، استطعت أن أقنعها بأن تضع مولداً للكهرباء داخل الكاستيلو».

حين يتخيل أحدهم قصراً إيطالياً، فهو يفكر بقصة خرافية، إلا أن هذا المكان ليس كذلك. بدا المكان أجرد وكئيباً، ما جعل جودي ترتعد لمجرد النظر إلى جدرانه المغطاة بالغرانيت.

- تعالي!

جلوسها في الفيراري جعل رجلها الضعيفة تتجمد، وتغدو بلا

حراك. استطاعت جودي أن تشعر بوجهها يحترق، فيما انتظرها لورنزو بنفاد صبر كي تترجل من السيارة وهو يمسك الباب الذي فتحه لها. انتفض الألم المبرح في رجلها حين استطاعت أخيراً أن تنزل منها، فقضمت شفتها السفلى لئلا تظهر ما تشعر به في الحقيقة. كان جون يكره كل ما يسلط الضوء على عجزها، لذلك كانت تصر على الدوام على ارتداء سروال من الجينز كي تخفي نحول رجليها المليئتين بندوب تفشي ما لا تريد إعلانه.

قال لها جون أكثر من مرة: «إذا ارتديت سروالاً لن يلاحظ أحد أنك تعانين من خطب ما».

استطاعت جودي أن تشعر بحنجرتها تختنق بدموع مؤلمة. لكم أرادت أن تسمعه يقول لها إنه لا يهتم لما ترتديه، لأنه يحبها كثيراً ويقدرها. لكن بالطبع، لا يفكر الرجال على هذا النحو، وقد فسرت لها لويس ذلك عندما شرحت لها سبب تفضيل جون لها.

- المشكلة هي، يا عزيزتي، أن الرجال لا يحبون رؤية المظاهر المشوهة، فهي تشعرهم بعدم الارتياح. بالاضافة إلى أنهم يفضلون امرأة يتباهون بها.

صححت لها جودي بكل ما أوتيت من كرامة: «تعنين بعض الرجال».

أصرت لويس: «معظمهم».

ثم أضافت بوقاحة: «بالرغم من هذا، كم عدد الرجال-بالإضافة إلى جون - الذين رغبوا في مواعدتك، جودي؟ فكري بالأمر، ودعينا لا ننسى أن أي رجل سوف يقلق بشأن ما سيواجهه في المستقبل مع امرأة تعاني من مشاكل صحية، ولو من الناحية المادية فحسب».

اعترضت جودي قائلة: «أنا لا أعاني من مشاكل صحية. أعطتني المستشفى تقريراً بذلك».

- لأنهم لا يستطيعون أن يفعلوا المزيد لك. هذا ما قلته لي

بنفسك. لن تعود رجلك إلى ما كانت عليه في السابق مطلقاً. أليس كذلك؟ أنت تتعبين إذا مشيت مسافة طويلة. تخيلي فظاعة الأمر بالنسبة إلى جون إذا اضطررت بعد عشر سنوات إلى استخدام الكرسي المتحرك. كيف سيتأقلم مع الوضع؟ مع ازدهار عمله بهذا الشكل، يحتاج جون إلى زوجة متألقة اجتماعياً لا إلى زوجة معاقة. لا ينبغي عليك أن تكوني أنانية جودي. جون وأنا نحاول أن نسهل هذا الأمر عليك قدر المستطاع.

عبارة جون وأنا هي التي أشعلت غضب جودي، فأخبرت صديقتها السابقة بكلمات واثقة ما رأيها بها وبجون، وختمت حديثها كما يلي: «إن الرجل الأخير الذي أود الارتباط به هو رجل سطحي للغاية، كل ما يهتم به ويراه هو ما يطفو على السطح، وكي أكون صريحة معك لويس، لقد أسديت لي خدمة عظيمة. لو لم تنبهيني لتزوجت من جون من دون أن أعرف مدى ضعفه وافتقاره إلى حس المسؤولية. من الواضح أنك لست صعبة الإرضاء بهذا الشأن مثلي».

ثم أنهت الكلام منتقدة سلوك لويس: «لكن لو كنت مكانك لتوخيت الحذر. فبالرغم من كل شيء لن يخلّد جمالك. أليس كذلك؟ وبما أنك قلت بنفسك إن المظاهر هامة لجون إلى حدّ كبير، فسوف تعيشين معه وأنت مدركة أنه في آخر المطاف سوف يتركك ليبحث عن امرأة أصغر منك سناً وأجمل منك».

راحت جودي ترتجف من رأسها حتى أخمص قدميها وهي تمشي بعيداً عن لويس، وحين ظهر جون بعد ساعة عند مدخل بيتها، يتهمها بإغضاب لويس، لم تعرف إذا كان عليها أن تضحك أم تبكي.

بعد تلك الحادثة اشترت جودي لنفسها أقصر تنورة استطاعت أن تجدها. لم يكن الحادث خطأ والديها، أماهي فناضلت طويلاً وبقوة كي تتعافى من جروحها. منذ ذلك الوقت، قررت أنها ستظهر ندوب رجليها بكل فخر، ولن تخضع لطلب أي رجل بأن تغطي رجليها

بسببها. لكن لسهولة السفر، ارتدت اليوم سروالاً من الجينز قديماً وباهتاً، جعلها تبدو غير ملائمة أبداً للورنزو، وهي تقف بجانبه ببذلته التي خيطت بأناقة. هذا ما فكرت به جودي فيما حثها لورنزو للسير باتجاه الساحة نحو قاعة واسعة مزخرفة، بينما راحت يده تضغط بشدة على ظهرها.

٤ - أحقاً وجدتها؟

بدت القاعة التي دخلاها مليئة بقطع المفروشات المصنوعة من الخشب الداكن المحفور، فيما علقت مجموعات من الأسلحة فوق الموقد الحجري الضخم. بدت السجادة على الأرض الحجرية تحت قدميها قديمة بالية، واستطاعت جودي أن ترى طبقة الغبار على الطاولة في وسط الغرفة. رأت باباً مفتوحاً في الجدار البعيد، وامرأة طويلة القامة تقف هناك عند المدخل. نسيت جودي فجأة كل ما حولها حين ركزت عليها. هذه المرأة تمثل كل ما يمكن للمرء أن يتصوره عن مظهر المرأة الإيطالية الأنيقة. بدا شعرها الداكن مشدوداً إلى الخلف في عقدة صغيرة، مبرزاً بنية العظم المثالية لوجهها. أما عيناها فومضتا بنظرة سخرية وتملك وانتصار باتجاه لورنزو. تلك النظرة المفترسة نفسها التي رأتها مرة في عيني لويس حين كانت تنظر إلى جون. لم ترها المرأة الأخرى، فجودي كانت مختبئة في الظلال. تساءلت من هي هذه المرأة.

بدأ إحساس بعدم السكينة يتسلل إلى أعماق جودي، وتحذير من مياه مميتة يمكن أن تغرقها في أعماقها الجليدية، إن لم تكن متنبهة. بدافع غريزتها، أحست أن لويس وتلك المرأة متشابهتان.

نظرت جودي إلى لورنزو. بدا مرتاحاً، لكنها استطاعت أن تشعر بتوتره من خلال أصابعه التي بدأت تشتد فجأة وهي تستقر على ظهرها. شيء ما يحصل هناك، وهي ليست مطلعة عليه... لكن ما هو؟ تذكرت الأسئلة العديدة التي بقيت من دون أجوبة، والتي قدّر لها

www.liilas-romancia.com

أن تظل كذلك. راقبت الفم القرمزي الرقيق المطلي بكل عناية بأحمر الشفاه، وفتحتي الأنف الناعمتين، كما رأت بريق ماسة كبيرة عندما رفعت المرأة يداً واحدة لتلمس حافة قبة فستانها الأسود العميقة بحركة إغواء مقصودة.

بدا فستانها مفصلاً بعناية ليتناسب مع خصر رفيع جداً. فكرت جودي أن هذا الخصر لابدّ أن يكون مشدوداً بالمشد ومربوطاً بشرائط محكمة، قبل أن ينسدل الفستان على وركي المرأة. أما حاشيته، فتظهر ساقين طويلتين، نحيلتين، وسمراوين فيما بدت قدماها، بأظافر أصابعها القرمزية الطلاء، مرتاحتين داخل صندال ذي شرائط رائعة.

نظرة انتصار صريحة لمعت في وجه المرأة الإيطالية، فيما مشت بتكلف نحو لورنزو، إلا أن عينيها البنيتين كانتا تفتقدان إلى العاطفة. هذا ما لاحظته جودي بوضوح. راحت المرأة تمشي وتتكلم بسرعة، فيما بدا صوتها خشناً وبارداً، محدثاً صريراً في أذني جودي، على خلاف ما توقعته فيه من دفءٍ وإيقاع. ما إن اقتربت منهما حتى رفع لورنزو يده بلطافة قائلاً: «كاترينا! تكلمي باللغة الإنكليزية أرجوك، كي تستطيع زوجتي العتيدة أن تفهم ما تقولينه».

بدا تأثير كلماته على المرأة مفاجئاً وعنيفاً. توقفت كاترينا عن الحراك، واستدارت لتنظر إلى جودي، التي وجدت أنها تدفع إلى الأمام لتخرج من الظلال، وتستند إلى لورنزو بمساعدة ذراعه التي بدت كقيد حولها.

هاجمتها المرأة بنظرة مفترسة غير مصدقة. تبعها فيض من الكلمات العنيفة باللغة الإيطالية. أرشد لورنزو جودي، متجاهلاً كاترينا: «من هنا».

- لا!

تقدمت المرأة لتقف أمامهما قائلة بالإنكليزية: «لن تفعل هذا بي. لا يمكنك...! من هي؟».

أجابها لورنزو ببرودة: «قلت لك لتوي. هي زوجتي العتيدة».

- لا! لا يمكنك أن تفعل هذا.

جاء صوتها الأجش الخشن ليعبر عن حنقها.

- لا... لا!

راحت كاترينا تهز رأسها من جانب إلى آخر بعنف شديد، حتى كادت تشعر بالدوار. كررت قائلة: «لا! لن تحوّل هذه الحقيرة إلى دوقة، لورنزو».

دوقة؟!

سمعت جودي لورنزو يقول ببرودة: «لا أسمح لك بالتكلم عن خطيبتي بهذه الطريقة».

يا إلهي! بماذا ورطت نفسها؟

- من أين أتت؟ ومن أي...؟

فجأة، جمدت تعابير وجه لورنزو في نظرة تحذير متغطرسة، لكن كاترينا تجاهلتها، وهي تمسك ذراعه مصرة: «أجبني، لورنزو! وإلا سوف...».

سألها بنبرة فظة، مبعداً يدها عن ذراعه: «وإلا سوف ماذا، كاترينا؟».

تابع يقول: «التقيت جودي قبل بضعة أشهر. نويت أن آتي بها إلى الكاستيلو كي تتعرف على جدتي، لكن لسوء الحظ، توفيت جدتي قبل أن أتمكن من فعل ذلك. وبما أنني أعرف أن أمنيتها الأغلى هي أن أتزوج، فأنا أنوي الاستماع إلى ما يمليه عليه قلبي، وأحقق شروط وصيتها بزواجي من جودي في أسرع وقت ممكن».

طرفت جودي بعينيها بعدم تصديق، وهي تستمع إلى قصة علاقتهما الخيالية.

- أنت تكذب. كلامك كله غير صحيح. أعرف الحقيقة، وسوف...

- أنت لا تعرفين شيئاً، ولن تفعلي شيئاً.

أوقفها لورنزو فوراً، مضيفاً بتجهم: «ودعيني أحذرك من أي محاولة منك لنشر الأقاويل أو الإشاعات عن خطيبتي أو عن زواجي الوشيك».

راحت كاترينا تصرخ في وجهه قائلة: «لا يمكنك تهديدي لورنزو!».

وأكملت: «هل تعرف سبب زواجك بها؟ هل تعرف أن أمنية جدتك قبل وفاتها هي أن تتزوج بي؟ هل تعرف أنك...؟».

- اصمتي!

أمرها لورنزو بقسوة، ونظرته المفترسة الجامدة تنتصب أمامها.

- لا! لن أصمت.

استدارت كاترينا لترمق جودي بنظرة احتقار قوية. وجهت إليها الكلام قائلة: «هل أخبرك أن السبب الوحيد لزواجه بك هو هذا المكان بالذات، لأنه لا يستطيع أن يرثه إلا إذا تزوج؟».

فكرت جودي أنها لا بد أن تكون المرأة التي تقود مشروعها الخاص، والتي جاء على ذكرها مؤخراً. تمكنت من إخفاء ما تشعر به في الحقيقة، حريصة على ألا تدع أحداً يلاحظ آلامها ويشفق عليها. هل لورنزو مستعد حقاً ليتزوج بامرأة لا يعرفها كي يرث هذا الحصن الكئيب المتهدم؟

قالت لها كاترينا بخبث: «من المستحيل أن يرغب في الزواج من امرأة مثلك».

انتفض الألم داخل أحشاء جودي، فكلمات كاترينا شبيهة جداً بمضمون كلمات لويس، تماماً كما يشبه جمال كاترينا الفاتن جمال لويس. هذا ما أشعل فتيل الكبرياء الحانقة التي راحت تغلي في عروق جودي. أخذت نفساً عميقاً، ثم سمعت نفسها تقول من دون مبالاة: «لكنه سيتزوج بي».

خلال الثواني التالية شعرت جودي أنها ضائعة بسبب تفوهها بتلك الكلمات التي لطالما تاقت لأن تقولها للويس. في الواقع، لم تعد تهتم لأي شيء آخر، حتى للصوت الداخلي العميق الذي لا يكف عن التوسل إليها بأخذ المزيد من الحيطة والحذر.

حتى عندما سمعت جودي صرخة كاترينا الحانقة، لم تدرك خطرها. ارتفعت يد المرأة الأخرى القرمزية الأظافر مستعدة لتصفع بعنف وجه جودي الرقيق، وفي اللحظة ذاتها ترك لورنزو جودي فجأة، وأمسك بكاترينا، ثم أبعدها عنها قائلاً: «كفى! كفى!».

صرخت كاترينا في وجه لورنزو: «لا يمكنك أن تفعل هذا بي. لن أسمح لك!».

راح رأس جودي يطن. ارتجف جسدها بأكمله أثر محاولة كاترينا الاعتداء عليها. سمعت لورنزو يأمر كاترينا بنبرة لاذعة: «سوف توضبين أغراضك، وتغادري الكاستيلو على الفور».

- لا يمكنك إجباري على ذلك. من حقي أن أبقى هنا مثلك تماماً. تذكر! إلى حين زواجك هذا الحصن هو لي بقدر ما هو لك. لن يصبح لك إلا بعد أن تتزوج، ولن...

- كفى!

لسع هذا الأمر هيجانها، ما جعل جودي تجفل وترتجف، وهي تراقب لورنزو يهز المرأة الأخرى بقوة قبل أن يتركها.

متجاهلة جودي تماماً، تذمرت كاترينا في وجه لورنزو، قائلة: «آه! سبب لي الأذى. ستظهر كدمة غداً...».

انتقلت كاترينا إلى التكلم باللغة الإيطالية، فقالت شيئاً لطيفاً له، ثم ضحكت ساخرة.

انتظرت جودي بهدوء، إلا أن غرائزها الأنثوية المشحوذة بالإدراك المتأخر لتلك النظرات والكلمات اللطيفة الخافتة التي تبادلها جون ولويس قبل بضعة أسابيع من إعلان خيانتهما لها، جعلتها تشك أن ما

قالته كاترينا للورنزو هو عبارة حميمة ذات إيحاء قوي. . . لكن، لماذا؟ ألأن علاقتهما حميمة وقوية؟ هل كانت كذلك أم أنها ما زالت مستمرة؟ من الواضح أن ما يجمعهما الآن هو الحقد والازدراء، لاسيما من قبل لورنزو. على الأقل هذا ما يبدو الأمر عليه.

- هو يستخدمك. أتدركين ذلك؟ حين يحصل على ما يريده، سوف يطردك.

هذا ما قالته كاترينا لجودي بحقد ما بعده حقد، ثم غادرت المكان بالسرعة نفسها التي أتت بها، مغلقة الباب وراءها بقوة.

تجاهل لورنزو تماماً ما حصل للتو، وأعلن بنبرة استبدادية: «من هنا. سأريك جناحنا».

رؤية غضب كاترينا وانفعالها جعل مشاعر جودي تضج بالغثيان والارتجاف، تماماً كما شعرت على أثر حديث لويس. لكن لورنزو كان قد قطع نصف المسافة نحو الباب التي خرجت منه كاترينا، فما كان منها إلا أن حثت خطاها كي تلحق به. خلف الباب كان ثمة ممر آخر، فيه مطلع درج ضخم أنيق من الرخام.

شرح لها لورنزو حين رأى تعجبها: «أعيد تصميم هذا القسم من الحصن الداخلي خلال عصر النهضة».

في أعلى الدرج، رأت ممراً عريضاً جداً يتفرّع إلى اليمين وإلى اليسار. اختار لورنزو الجهة اليمنى، التي بدت مظلمة قليلاً، لكنها مضاءة بمصابيح كهربائية قديمة الطراز معلقة على الجدران. هناك استطاعت جودي أن ترى باباً مزخرفاً ذا مصرعين. أعلن لورنزو وهو يفتح المصراعين معاً: «بعد طلاق والدي، خصصت جدتي هذا القسم من الحصن لي».

وأكمل: «كان جينو يقول على الدوام. . .».

سألته جودي، فيما أفكارها لاتزال تهتاج لشدة الفضول: «جينو؟».

- ابن عمي. زوج كاترينا المتوفي.

لم تستطع إلا أن تسأله: «أهي أرملة إذاً؟».

- نعم. هي أرملة.

- هل تعيش هنا؟

لامست فمه تكشيرة متشائمة، ثم اختفت، لتحل مكانها نظرة مليئة بالمرارة.

- تملك شقة في ميلانو، لكنها انتقلت إلى هنا حين مرضت جدتي.

عبس لورنزو، ثم قال فجأة: «أنت تطرحين الكثير من الأسئلة. تأخر الوقت الآن، ولدي الكثير من الأعمال. سأشرح لك كل ما تريدين معرفته غداً. تذكري أن على الجميع أن يعرفوا أن علاقتنا تعود إلى فترة سابقة، وكذلك قرار زواجنا».

لم تتمكن جودي من ردع نفسها عن التعليق: «قالت كاترينا إن جدتك أرادتك أن تتزوج بها».

ردّ لورنزو عليها بنبرة قاسية: «إنها كاذبة. هي التي تريد الزواج بي، لأنها تشتهي الحصول على لقبي وثروتي. كاترينا هي مصاصة دماء، وقد أثبتت أنها مستعدة لتبيع نفسها إلى من يعرض الثمن الأعلى».

أحست جودي بالفضول لتعرف المزيد، لكنها رأت على وجه لورنزو نظرة مفادها أن الموضوع قد أقفل. مشت بحذر نحو البابين اللذين فتحهما، وحالما فعلت هذا، اضمحل الفضول الذي خالجها بشأن كاترينا بفعل تفاجئها، إذ إن الغرفة التي دخلتها بدت حديثة الطراز ذات مفروشات بسيطة. أما الأرض فمغطاة بسجادة سميكة تتمازج فيها ألوان الطبيعة، ترتاح عليها أريكتان من الجلد.

أخبرها لورنزو: «أخذت اللوحات الزيتية الأصلية من هذه الغرفة أثناء الحرب، حين وقع الكاستيلو تحت الاحتلال».

أضاف: «حصل ذلك حين قتل زوج جدتي الأول».

ارتجفت جودي قليلاً من دون أن تعي سبب شعورها المفاجئ بالبرد. سألته مشككة: «أين... أين جناح كاترينا؟».

أجابها لورنزو بغير مبالاة: «إنها الآن تحتل الغرف الرفيعة المستوى التي كانت لجدتي».

ثم أكمل بسرعة قبل أن تتمكن جودي من طرح المزيد من الأسئلة: «علي أن أحدد موعداً مع محاميّ ليأتي إلى هنا غداً. هكذا يمكننا أن نوقع عقداً، ونرتب الأمور تحضيراً لزواجنا».

شعرت جودي بالتوتر، وقالت: «كنت أفكر...».

- أرعبتك كاترينا. أليس كذلك؟ هل أنت خائفة منها؟

أنكرت جودي التهمة بشدة قائلة: «لا! لست خائفة منها مطلقاً».

رفع لورنزو حاجباً داكناً بعدم تصديق.

أصرت جودي مجدداً: «ليس الأمر كذلك، لكن إذا كنت جدياً بالنسبة لزواجنا، فأريد...».

كما توقع بالضبط، جودي تحاول أن تأخذ منه أكبر مبلغ تستطيع الحصول عليه. سألها: «ماذا تريدين؟ مليونين بدلاً من مليون؟».

رمقته جودي بنظرة غاضبة، وأجابت: «لا! قلت لك إنني لا أريد مالك».

- لكنك تريدين شيئاً ما!

وافقت وهي تأخذ نفساً عميقاً، قائلة: «نعم. أريد منك أن تذهب معي إلى زفاف جون ولويس».

التقطت جودي نفسها منتظرة رفضه، لكن بدلاً من الرفض اتهمها لورنزو بلطافة: «إذاً، أنت مازلت تريدينه».

- لا! ما أريده هو...

توقفت جودي عن الكلام، وهزت رأسها يميناً ويساراً، ثم أكملت: «ليس علي أن أشرح لك أسبابي. هذه هي شروطي لأتزوج

بك، ويعود الأمر لك لتقبل أم لا».

أرجوك يا إلهي! دعه يرفض.

- حسناً! سنذهب إلى زفاف خطيبك السابق، لكن بصفتنا زوجاً وزوجة.

استطاعت جودي أن تشعر بجسدها يسترخي من الارتياح. من الارتياح... أم بسبب إحساسها بضياع المزيد من القرارات من بين يديها؟ أم لأنها فقدت السيطرة على حياتها من جراء ضعفها بحيث سلمتها إلى رجل متعجرف؟

- تعالي معي!

لحقت جودي بلورنزو وقد أنهكها التعب، عبر مجموعة أخرى من الأبواب التي تؤدي إلى جناح ذي طابع ذكوري، ومن هناك إلى حجرة فيها بابان مفتوحان. أشار لورنزو إلى أحد البابين قائلاً: «هذه غرفتي».

ثم أشار إلى الباب الآخر قائلاً: «وهذه غرفة الضيوف».

راح لورنزو ينظر إلى جودي نظرة متفحصة مترقبة، كأنه ينتظرها لترسو على اختيار. سرعان ما قررت أن تخطو باتجاه باب غرفة الضيوف. وضعت يدها على المقبض، ونظرت إلى الداخل. على غرار الغرف الأخرى كانت هذه الأخيرة مزينة ومفروشة على الطراز الحديث البسيط، لكن أكثر ما لفت انتباهها السرير الكبير الرائع. في هذا الوقت أصبحت رجلها تؤلمها بشدة، فأخذت تجرها على الأرض قليلاً. سمعت لورنزو يشرح لها: «هذان البابان على كلا جانبي السرير يؤديان إلى غرفتي تغيير الملابس والحمام».

وأكمل: «عليّ أن أجلب حقيبتك إلى هنا. هل أنت جائعة؟».

هزت جودي رأسها بالنفي، فكل ما تريده الآن هو الاستلقاء والشعور بالألم يتبدد من رجلها. خطت خطوة إلى الأمام، فيما أخذت رجلها الضعيفة التي أتعبتها كثيراً فترة القيادة الطويلة تلتوي

وتنهار. استخدمت يديها بحركة تلقائية لتحاول منع نفسها من السقوط. سمعت لورنزو يشتم، وما لبث أن اقترب منها، محاولاً التقاطها قبل أن تقع على الأرض كلياً. جذبها بعنف لتقف مجدداً على قدميها، لكن الألم المبرح خرج منها على شكل صرخة مسموعة.

- اللعنة! ما الأمر؟ ما خطبك؟

- لا شيء... إنها رجلي.

دفعته بعيداً عنها، وحاولت أن تقف مستقيمة، لكن رجلها لم تطاوعها. لاحظت جودي عبوسه، وعلى الفور رفعت ذقنها بافتخار.

- أعاني من مشكلة في رجلي. تعرّضت لحادث، وتأذت رجلي بسببه. أحياناً، حين أتعبها كثيراً...

أشاحت بنظرها عنه. وأكملت: «إذا لم تكن تريد الزواج بي بسببها، ف...».

قاطعها لورنزو مفترضاً: «أهذا ما قاله لكِ ذاك الرجل الذي كنتِ ستتزوجين به؟».

تابع يسألها: «هل أخبرك أنه لا يريدك بسببها؟».

شعرت جودي بوجهها يحمّر وينضح باللهب، فقد تفوهت بالكثير. هذا خطأ اقترفته بسبب تعبها والتوتر الذي تحس به بعد كل ما حدث لها.

- لا.

تابع لورنزو افتراضاته: «ربما حصل ذلك بسبب صراع بينكما».

- لم يحب حقيقة أنها... ضعيفة.

حاولت أن تهز كتفيها بلا مبالاة. قالت: «لكن هذا طبيعي. أليس كذلك؟ الرجال يحبّون النساء الجميلات، و...».

أجابها لورنزو: «الأصالة في طبيعة الإنسان تجعله يقدّر الجمال».

ثم أردف باهتمام: «لكن أحياناً، لا يأتي الجمال الأكبر إلا من خلال المعاناة والألم».

نظرت جودي إليه بشك. بدت متعبة كثيراً، فلم تستطع أن تحلّل هذه الملاحظة المُثقلة بالألغاز. بدلاً من ذلك، نظرت مطوّلاً إلى السرير. وتبع لورنزو اتجاه نظرها.

- سأتركك الآن. ستجدين كل ما تحتاجين إليه في الحمام، لكن إذا لم تفعلي، اسألي بيترو حين يجلب حقيبتك. سيخبر ماريا بدوره، وهي ستلبي طلبك بالتأكيد.

كررت جودي اسميهما بحذر: «بيترو وماريا. أهما الخادمان؟».

قال لورنزو بحذر أيضاً: «هما يهتمان بالحصن. وظفتهما جدتي منذ زمن طويل، وهما الآن في سن التقاعد. لكن لطالما كان الكاستيلو بيتهما، والاستغناء عنهما الآن سوف يبدو عملاً وحشياً، كذلك الاشارة إلى أنهما لم يعودا مفيدين».

تابع يقول: «حين أتكلم مع محاميّ، وأحضر لترتيبات زواجنا، سوف أعمل على تحسين المكان كي يبدو مضيافاً أكثر».

هل سيعيشان هنا؟ خطر ببال جودي الكثير من الأسئلة التي ينبغي عليها طرحها، لكنها تشعر بالانهاك الشديد، وهمها الوحيد الآن هو الاستلقاء وأخذ قسط من الراحة.

٥ - إنها البداية...

بدت المياه في حوض الاستحمام ساخنة، أما المناشف التي جلبتها لها ماريا وهي تدخل بعجلة إلى غرفة النوم مع فيض من الكلمات الإيطالية غير المفهومة، متفحصة جودي بنظرتها اللاذعة، فهي ناعمة وسميكة.

كان الحمام المتصل بالغرفة بسيطاً جداً، لكنه ينطق بالنظافة، وكذلك الأدوات المستخدمة والرخام الذي يغطي الأرض والجدران. لفت جودي جسمها بإحدى المناشف، وخرجت إلى غرفة النوم حافية القدمين. فتحت حقيبتها، وراحت تفتش بسرعة عن قميص نومها. حين رفعت قمصانها الموضّبة بأناقة، ظهر التجهم على وجهها. قميصها موجود هناك وما من مشكلة، لكنها وجدت أيضاً ثيابها الداخلية المغرية الجديدة التي كانت قد ابتاعتها لشهر عسلها: حمّالة صدر وسروال قصير مطبع بالزهور، سراويل تحتية حريرية مزينة بعقد من الساتان، تنورة قصيرة جداً مطبعة بالزهور أيضاً لم تستطع أن تقاوم جمالها، حتى إنها وجدت حمّالة صدر ضيقة من قماش الساتان والدانتيل بلون القشدة.

ماذا تفعل تلك الأغراض في حقيبتها، بحق السماء؟ ما لبثت أن وجدت الجواب على ورقة صغيرة كتبتها زوجة ابن عمها، ودسّتها بين ثنايا قميص نومها.

«بدا من المؤسف ألا تأخذي هذه الأغراض معكِ. من يعرف؟ لربما التقيت بشخص يقدّرها، ويقدّرك».

كادت جودي تضحك بصوت مرتفع. فكرت أن أندريا تتمتع بحسّ رومنسي إلى حد بعيد، فهي ما زالت تأمل أن تتمكن جودي من الاستفادة من تلك الأغراض التافهة. ارتدت جودي قميص نومها، وأقفلت الحقيبة، ووضعتها على الأرض قبل أن تزحف إلى وسط السرير الكبير وتطفئ النور.

يفترض بها أن تفكر بالوضع الذي حشرت نفسها فيه، وأن تجد الطريقة الفضلى للخروج منه، لكنها متعبة للغاية لتشغل بالها بذلك.

* * *

أقفل لورنزو الكومبيوتر، ونهض من مكانه مبتعداً عن الطاولة حيث كان يعمل. أرسل رسائل إلكترونية إلى عدد من الأشخاص منهم محاميه، ليشرح له خطته، ودبلوماسي رفيع المستوى يدين له ببضع خدمات، يطلب مساعدته في إتمام الإجراءات القانونية، بحيث يستطيع أن يتزوج خطيبته البريطانية في أسرع وقت ممكن، والكاردينال الذي تربطه به صلة قرابة. بالصدفة، وجد لورنزو جواز سفر جودي في محفظة كانت قد تركتها على مقعد سيارتها، فأرسل التفاصيل عبر الفاكس إلى الرجال الثلاثة. تمحورت إرشاداته إلى محاميه حول وجوب عقد اتفاقية زواج في أسرع وقت، فيما يقوم بالاجراءات اللازمة لتنتقل ملكية حصن كاستيلو إلى لورنزو، وفقاً لشروط وصية جدّته.

ترك لورنزو جناحه، وتوجه إلى أسفل الدرج. مشى بخطى واسعة أمام الغرف غير المستعملة بمفروشاتها القديمة الطراز وهوائها المتعفّن حتى وصل إلى الباب المنشود. راح التوتر يتزايد في داخله فيما حواسه تستشرف اللذة التي تنتظرها. إنه مستعد ليتزوج من اثنتي عشرة امرأة إنكليزية نحيلة جداً وشاحبة الوجه إذا اقتضى الأمر، كي يشفي ظمأ الرغبة التي لطالما تغلغلت فيه.

* * *

الألم المبرح المتشبث بعضلات رجل جودي أصبح قوياً جداً ولا يُحتمل، بحيث انتشلها من نومها العميق مع صرخة ألم سمعها لورنزو وهو يخرج من الحمام. تغضن جبينه في عبوس مفاجئ حين سمع الصرخة تتكرر. مشى نحو غرفة الضيوف، ففتح الباب وأضاء النور. أدرك لورنزو فوراً ما حصل. تقدم نحو السرير، وأمسك جودي من كتفيها. سألها بنبرة جافة: «ما الأمر؟ أهو تشنج؟».

هزّت جودي رأسها، واستطاعت أن تقول بالرغم مما تشعر به من ألم: «نعم، في رجلي...».

حدّة الألم حوّلت وجهها إلى لون رمادي، واستطاع لورنزو أن يرى حبيبات العرق الصغيرة التي ظهرت على جبينها.

- هل تعانين من ذلك بصورة متكررة؟

لِمَ يطرح عليها هذا السؤال؟ أهو خائف من أن يرهق نفسه مع زوجة قد تشكل له عائقاً حتى لمدة اثني عشر شهراً؟ أجفلت جودي وصرخت ما إن وجدت أصابعه القوية منطقة التشنج الأساسية في رجلها، حيث يخزها الألم. قالت: «لا! فقط حين أتعبها كثيراً... آه!».

أرشدها لورنزو: «استلقي بلا حراك. لا عليك!».

أضاف حين نظرت إليه بحذر: «أعرف ما أفعله جيداً».

لو لم تنتابها نوبة أخرى من التشنّج لتمكنت جودي من المقاومة، لكن نوبة التشنج جردتها من أي طاقة أخرى غير التركيز على ألمها. أطلق لورنزو شتيمة بصوت عال، ثم رفعها إلى الأعلى، متجاهلاً اعتراضاتها، فيما أدارها مجدداً فصار بطنها مواجهاً السرير. الآن، بدت رجلاها ممدودتين تحت القميص الصبيانية التي ترتديها. أدرك لورنزو أنه كان محقاً بشأن طولهما، وأنها لم تكن تنتعل حذاء ذا كعبين مرتفعين. استطاع أن يرى أيضاً أن إحدى رجليها هي أكثر نحولاً من الأخرى، وأن في طية ركبتها ندوب على شكل خطوط

فضية اللون.

لم تعد جودي واعية إلى أنها تغرز أصابعها في ذراع لورنزو، فيما قرّرت ألا تصرخ. وكان ذلك أسوأ تصرف قد تتذكره. انتظر لورنزو حتى أخذت قبضة جودي بالارتخاء عن ذراعه. ثم راحت أصابعه النحيلة الطويلة تجسّ عُقدة العضلة المتشنجة، حتى أحسّت جودي أنها تريد أن تصرخ من العذاب. حاولت أن تجرّ رجلها من بين أصابعه، لكن رويداً رويداً، أخذت هذه الأخيرة تسحب الألم، وهي تمسد رجلها حتى بدأت العضلة ترتاح. أحست بارتعاش طفيف في عضلتها، ثم راح جسدها بأكمله يرتجف.

- استريحي!

استمر لورنزو في تمسيد رجلها، وبدأت قبضات يديه القوية تنتقل على امتداد العضلة المتشنجة. التوتر الذي قضّ مضجعها فيما أخذت تشعر بأصابعه، جاء نتيجة إحساسها بالتشنج في معدتها لا في رجلها. وليس له أي صلة بالتعب المفرط.

- من الواضح من خلال هذه الندبات أنك خضعتِ للكثير من العمليات؟

توترت جودي مجدداً. أرادت أن تسحب رجلها بعيداً، لكنها خشيت من الحراك، لئلاّ تسبب بارتفاع قميص نومها أكثر. فات الأوان الآن لتتمنى لو أنها ارتدت ثياب نوم أكثر أناقة.

قالت باختصار: «نعم».

- كم هو عددها؟

أطلقت جودي زفرة وسألته: «وهل يهمك الأمر؟ أتخشى أن ينتهي بك المطاف وأنت تعتني بي، إذا ما احتجت إلى كرسي ذي عجلات أو ما شابه؟».

- وهل هذا الاحتمال وارد؟

تابع لورنزو تمسيد رجلها، لكن أصابعه الآن راحت تتحرك برفق

فوق الندوب ذاتها. لسبب غريب، اكتشفت جودي أنها تودّ لو تبكي بقوة. لم يلمس أحد قط ندوبها سوى الأطباء والمعالجون. فقد تمخضت الأشهر الطويلة التي قضتها في المستشفى عن فحوصات جسدية جمة، راح الأطباء يتفحصونها كأنها آلة مكسورة يحاولون لصقها مجدداً وإعادة تشغيلها. هذا ما كانت هي عليه فعلاً بالنسبة إليهم، وقد شعرت بالامتنان لهم لكل ما فعلوه. كيف يمكنها ألاّ تكون ممتنة؟ لكنها في الوقت نفسه رغبت خفية بلمسة شخصية أكثر، لمسة مريحة ومدركة أكثر، لمسة يد لا تجفل من ندوبها، ولا تتذمر منها.

- لا. ستظل رجلي ضعيفة دائماً، لكنها شفيت تماماً الآن.

قالت جودي ذلك فجأة، قبل أن تعض شفتيها، غير راغبة في تذكر تلك الأيام الفظيعة حين خوّفها الأطباء من احتمال بترها. أجبرت نفسها على التركيز على شيء ما... أي شيء غير تمسيد أصابعه الناعم لرجلها. ما من حبيب يستطيع أن... حبيب! ما الذي تفكر به الآن؟

استدارت كي تستطيع أن تواجه لونزو، وهي واعية تماماً لثقل يده الدافئة، تلك اليد التي لا تزال منبسطة على عضلة رجلها. اتسعت عيناها حين أدركت ما لم تكن مدركة إياه من قبل، لورنزو لا يرتدي سوى سروال قصير. ذكرت جودي نفسها أنها من الآن فصاعداً، لن تسمح لنفسها بأن تعجب بأي رجل، وبالتأكيد ليس برجل مثل هذا الرجل، فقد أنبأتها كل غريزة فيها أن لورنزو خطير جداً. بدا أنه رجل مستبد يصر على الحصول على كل ما يريد، بغض النظر عن الوسيلة التي توصله إلى مأربه. عليها أن تركز انتباهها على ذاك الأمر، لا على العضلات القوية لصدره وذراعيه المفتولتين.

أبعد لورنزو يده عن رجل جودي، وسوّى جلسته، بدأ كلامه بنبرة تحذيرية: «إذاً بقيت تنظرين إليّ بهذه الطريقة، سوف أظن...».

اعترضت جودي، ووجهها يحترق سخونة: «ماذا تعني؟».

أجاب لورنزو بسخرية: «أنت تنظرين إليّ كما تنظر أي فتاة إلى حبيبها».

وأكمل: «ما يدعوني إلى التساؤل ما نوع المرأة التي أنت عليها لتنظري إلي على هذا النحو، وما نوع الرجل الذي كان عليه خطيبك السابق لكي تبدو نظرتك متلهفة كما هي».

ناقشته جودي وهي تشعر بالاستياء: «لم أكن أنظر إليك بنظرة متلهفة. أنت تتخيل ذلك. أنتم الرجال بارعون في تخيل الأمور التي تناسبكم».

قال لورنزو، وهو يضع أصابعه على خدها: «أتقولين إنك امرأة لا تتأثر مطلقاً برؤية رجل ذي جسم رشيق مليء بالعضلات؟».

حاولت جودي بجسارة أن تهز كتفيها بلامبالاة. علّقت قائلة: «لا، ولمَ سأفعل؟».

- هل كان خطيبك حبيباً كريماً في مغازلتك؟

فتحت جودي فاهها ثم أقفلته مجدداً، فيما راح وجهها يظهر ظلالاً بنفسجية، وقلبها يضرب بقوة داخل قفصها الصدري.

- لماذا تسأل؟

- لمَ لا تجيبين؟

- أنا لا أسألك عن صديقاتك السابقات، وإذا كنا سنتزوج...

- إذا؟ ما من إذا في الموضوع، فقد اتصلت بمحاميّ، وسوف يكون هنا في الصباح الباكر.

- يلزمه الكثير من الوقت كي ينجز الإجراءات القانونية كما أتوقع.

- ليس بالنسبة لنا. حالما نلتقي بألفريدو، سوف نسافر إلى فلورنسا.

- فلورنسا؟!

- لدي بعض المشاغل هناك، وسوف تحتاجين إلى شراء فستان الزفاف.

- فستان الزفاف؟!

ارتفع حاجبا لورنزو الداكنان، وقال: «أظن أنك لم تجلبي معكِ فستان زفافك حين هربت».

أشاحت جودي بنظرها عنه، ووافقت بسرعة: «لا. لم أفعل».

فستان زفافها ما زال معلقاً في المتجر الذي اشترته منه. دفعت ثمنه، لكنها لم تجلبه.

راقبها لورنزو بهدوء، وتابع: «ثمة الكثير من متاجر المصمّمين في فلورنسا. ومن المفترض أن تجدي فستاناً في أحدها».

متاجر مصممين؟ إيجاد فستان هو أمر يسير، لكن دفع ثمنه لمتجر أحد المصممين نظراً لميزانيتها المحدودة هو الأمر العسير.

- ماذا لو...؟ ماذا لو غيرت رأيي؟

- لن أسمح لكِ.

- لكنك لا تستطيع منعي.

نظرة لورنزو الحازمة جعلتها تشعر أنها حُبست في حصن قديم، حيث كان أسلافه من دون شك يحبسون سجناءهم.

سألها: «ممّ أنتِ خائفة بالتحديد؟».

كذبت جودي قائلة: «لست خائفة من أي شيء».

- إذاً ما من سبب واضح يمنع زواجنا. أليس كذلك؟ إنه حدث منظم نستفيد منه كلانا. ما هو موعد حفل زفاف خطيبك السابق؟

- في منتصف الشهر التالي.

- جيد. سوف نكون قد تزوجنا، وسوف تستمتعين بتقديمي إليه زوجاً لكِ. تأخر الوقت الآن، وثمة الكثير من الأعمال التي علينا إنجازها غداً.

- لِمَ لا تتزوج كاترينا؟

اشتدت عضلات وجه لورنزو فوراً. وأجاب مثبطاً همّتها: «لا شأن لك بهذا الأمر».

أردف بسرعة: «يجب أن أتركك الآن لتنعمي بقسط من النوم، على أمل ألاّ يعاودك التشنّج».

بكلمات أخرى؛ اهتمي بشؤونك الخاصة! هذا ما فكرت به جودي بندم، فيما راقبته يغادر.

www.elromancia.com

٦ - لا أريد مالك

صوت انفتاح باب غرفة نومها أخرج جودي من حلم معقد أرغمت على مشاهدته؛ مشى جون إلى آخر الممر باتجاه عروسه العتيدة، لكن حين اقترب منها، لم يكن جون هو الذي يتزوج امرأة أخرى بل لورنزو. ومن الغرابة أن جودي شعرت بالحسد البليغ بدلاً من أن تشعر بالارتياح.

- صباح الخير.

حيتها ماريا بوجه مشرق، فيما وضعت الصينية التي تحملها، ثم مشت نحو النوافذ لتفتح الستائر السميكة. على الفور، انسكبت أشعة الشمس على الغرفة، وتبعها النسيم المنعش الدافئ.

فاحت رائحة القهوة الطازجة، وبدا منظر قطع الخبز والفواكه شهياً، ما جعل لعاب جودي يسيل جوعاً.

- شكراً، ماريا.

شكرت جودي الخادمة المتقدمة في السن مع ابتسامة لطيفة، فيما رفعت ماريا أغطية السرير، ثم استدارت لتغادر الغرفة. لم تدرك جودي من قبل أن ثمة شرفة في غرفتها، وحين هرعت لتتحقق من ذلك، اكتشفت أنها تطل على حديقة في ساحة مغلقة ذات طابع شرقي. من الموقع المشرف هذا، استطاعت جودي أن تنظر إلى قلب الحديقة حيث تقع بركة مليئة بالسمك، تتوسطها نافورة مزخرفة ترسل رذاذاً من المياه إلى الأعلى، قبل أن تسقط لتحدث غمّازات على سطح البركة.

عادت جودي إلى غرفة نومها. سكبت لنفسها كوباً من القهوة، ثم توجهت مجدداً إلى الشرفة. بدت هذه الأخيرة واسعة بما فيه الكفاية لتتّسع لطاولة من الحديد وكرسيين. كانت على وشك أن تجلس على أحد الكرسيين حين طُرق باب غرفة نومها مرة أخرى. اعتقدت أن ماريا عادت، فنظرت إلى الأعلى، وارتسمت على محيّاها ابتسامة، ما لبثت أن اضمحلت بعد أن اكتشفت أن القادم ليست ماريا بل لورنزو.

- من الجيد أنك استيقظت. اتصل ألفريدو ليقول إنه في طريقه إلى هنا، وسيصل في غضون ساعة. أتمنى أن تكوني قد نمت جيداً، ولم تعاودك التشنجات.

- لا. أعني... نعم. نمت جيداً، ولم تعاودني التشنجات.

لم تعاودها تلك التشنجات، إلا أن الوخز الخفيف على بشرتها حيث مسّد رجلها جعلها تبقى مستيقظة لوقت طويل بعد رحيله.

على خلافها، كان لورنزو مرتدياً كامل ثيابه، ما جعلها تعي قصر قميص نومها. إلا أن لورنزو لم يكن ينظر إليها. ظهر العبوس على وجهه وهو يحدق بشيء ما على الأرض بجانب سريرها، قرب حقيبتها التي لم توضبها بسبب شعورها بالارهاق الشديد في الليلة السابقة.

مشى لورنزو بخطوات كبيرة نحوها، ثم انحنى إلى الأرض وحمل بيده حمّالة الصدر الضيقة التي نسيت أن تعيدها إلى الحقيبة مجدداً. حملها بين إبهامه وسبابتيه، ونظر إلى جودي نظرة متسائلة من خلال تجهمه.

- ما هذه؟

تحدّته جودي بجسارة: «ما الذي تبدو عليه؟».

- تبدو مثل شيء ترتديه فتاة استعراضية.

أجابتها جودي بتردد: «كانت... كانت جزءاً من جهاز عرسي».

بالتأكيد، هي لا تريده أن يظن أنها شيء جلبته معها لترتديه في أيام العطلة. أضافت: «وُضعت في حقيبتي... عن طريق الخطأ».

- جهاز عرسك؟ أتعنين أنك كنت سترتدين هذه كوسيلة لإغراء زوجك كي يقيم علاقة حميمة معك؟ أي نوع من الرجال هو؟ أهو مصاب بانحراف ما؟

أجابته جودي بنبرة حادّة: «هذه مجرد حمّالة صدر من أحد المتاجر. إذا كنت تريد أن تعطيها تفسيراً بذيئاً وسخاً، فهذا شأنك».

شعرت أنها على حافة انهمار دموع الغضب والذل، فيما تذكرت الشك الخجول الذي شعرت به وهي تشتري تلك الثياب الداخلية المصنوعة من الدانتيل، والمزودة بقطع من العاج، آملة أن تغوي جون ليكون شغوفاً أكثر معها. تابعت قائلة: «الآن أصبحت تعتبر موضة. بعض النساء يرتدينها كثياب خارجية».

- نعم. رأيت بعضهن يعرضن أجسامهن كالمومسات.

مومسات! هل يشير..؟

- أفترض أن الثياب التي تحب أن تراها على امرأتك هي...

هذا ما بدأت جودي تقوله بغضب، قبل أن يقاطعها لورنزو، ويرمي حمالة الصدر على السرير قائلاً: «أحب أن أراها ترتدي ما يشير بلطافة إلى أنوثتها بدلاً من استعراضها. ثياباً مصنوعة من أقمشة لطيفة كبشرتها، لا ثياباً تجعلها تبدو كطفلة أو كمومس».

طفلة؟ هل يشير إلى قميص نومها؟

أضاف لورنزو بهدوء، فيما سكب لنفسه كوباً من القهوة، ومشى نحو الشرفة لينضم إليها: «كيف حال رجلك هذا الصباح؟».

فجأة، ما بدا لها مكاناً جميلاً تستمتع فيه بهواء الصباح، صار فضاء ضيقاً وحميماً للغاية. هل تعمد لورنزو الإشارة إلى رجلها الآن، لأنه أدرك مدى حساسيتها بشأن ضعفها الذي يجعلها امرأة أقل جاذبية؟

قالت له بنبرة دفاعية: «إنها بحال جيدة. يحصل هذا لأي شخص، وأنت تعرف ذلك».

أضافت مؤكدة: «حتى لشخص يتمتع برجلين طبيعيتين تماماً».

- أوتعتقدين أن رجليك ليستا طبيعيتين؟ ثمة أماكن في العالم يتعرض فيها الناس - لاسيما الأطفال منهم - إلى ظلم الحروب التي لا يفهمونها، ويحملون آثارها طوال حياتهم، بما في ذلك فقدان أطرافهم، ما يسبب لهم ضعفاً لا يخجلون به مطلقاً.

استمعت جودي إلى لورنزو، وهي تشعر بحنق لا يُصدق. هل يتجرأ ويعظها، لاسيّما وهو يعيش حياة مترفة بعيدة عن الواقع؟ سألته بازدراء: «ماذا تعرف أنت عن معاناة الآخرين؟ أراهن أن المعاناة الأقرب التي تعرّفت عليها أتت من خلال خبر مأساوي قرأته في صحيفة أو شاهدته على شاشة التلفزيون».

وضعت كوبها على الطاولة بحركة غاضبة بسيطة، وهمّت بالسير إلى داخل الغرفة مجدداً، إلاّ أن لورنزو الذي استغرق في النظر إلى الحديقة، وضع يده على ذراعها كي يوقفها.

قال لها بهدوء: «كاترينا تراقبنا».

- ماذا في ذلك؟

وضع كوبه على الطاولة واستدار نحوها، قائلاً لها بلطف: «هذا...».

أزال لورنزو المسافة بينهما، فلم تجد لها مهرباً. أحاطت بها ذراعاه، فأصبحت سجينة دائرتهما. انبسطت يداه على ظهرها، وقربها منه كأنها عجينة عديمة الشكل ومطواعة، يفعل بها ما يشاء. أبقى إحدى يديه على أسفل ظهرها، ليشدها نحوه. هذا ما أدركته جودي مع إحساسها بالدّوار، فيما ارتفعت اليد الأخرى إلى كتفيها، ثم اختفت أصابعه في كثافة شعرها.

أخذت جودي ترتجف من رأسها حتى أخمص قدميها بحنق رهيب. حدّقت إلى الأعلى نحوه. حجب وجهه عنها أشعة الشمس حين قربها منه وعانقها. تجمدت جودي بردة فعل دفاعية، غير قادرة

على الحراك. استطاعت أن تشمّ الرائحة المنعشة لصابون الاستحمام والكتان النظيف. أصرّت على عنادها ورفضت أن تبادله العناق. إلاّ أن ارتعاشة خفيفة فضحت إحساسها وصدمت جسدها.

ضمها لورنزو إليه أكثر، ولمعت عيناه الرماديتان المائلتان إلى اللون الفضي، وهو مدرك تماماً لردة فعلها، ما جعل جسدها بأكمله يلتهب. سألها بنعومة: «ألا تعرفين حتى كيف تبادليني العناق، مع أنك كنت مخطوبة؟».

وجدت جودي نفسها أمام خيارين: إما تصنف كامرأة غير كفوءة وباردة العاطفة لا تعرف كيف تبادل الرجل العناق، وإما الاستسلام لطلبه المتعجرف، لذا اختارت الكبرياء الأنثوية على الغضب. لانت عضلاتها ومفاصلها، إلا أن التماع نظرتها الذهبية ظل يرشح بعدم المبالاة بنظرة لورنزو الفضية الساحرة التي هي أشبه بمغنطيس يجذبها إلى قدر لا مفر منه. ارتفعت ذراعاها لتطوّقا عنقه، واستطاعت جودي أن تشعر بدفء يديه على ظهرها. فيما استجابت بشرتها لحرارة لمسته. وقفت على أطراف أصابع قدميها، وهي تميل نحوه، وتعانقه بحرارة صدمتها. شعرت بيده تتحرك لتمسك كتفها، ما جعلها ترتجف كقوس جاهز للانطلاق.

بادلته العناق بقوة كأنها تتوق إلى عناقه منذ وقت طويل. بعد قليل همس لورنزو قائلاً: «ما الأمر؟ تبدين تواقة إلى المعانقة. ألم يكن خطيبك يتودد إليك ويعانقك بما يكفي لإشباع توقك؟».

فيما كان لورنزو يهمس لها بتلك الكلمات همساً، زاد من حميمية عناقه، ما جعلها ترتجف من دون قصد منها. لطالما تاقت لأن يعانقها جون بمثل هذا الشوق والحميمية.

أعاد جودي إلى الواقع صوت وقع قدمين غاضبتين تسحقان الحصى تحت الشرفة. تجمّد جسدها في رفض حانق، فيما انتشلت نفسها من بين ذراعي لورنزو.

قالت له بغضب: «لا يحق لك أن تفعل هذا».

هزّ لورنزو كتفيه بلا مبالاة، وقال: «لماذا إذاً لم توقفيني؟».

لم توقفه لأنها بدت مأخوذة بعناقه! هذا ما أدركته بحسّ من الذنب. ردّت جودي، متجنبة النظر إليه: «قلت إنه لن تكون هناك من... من علاقة حميمة بيننا».

أعلمها لورنزو: «لم تكن هذه علاقة حميمة. لو كان ذلك هدفي لاصطحبتك إلى مكان لا يرانا فيه أحد. كل ما في الأمر أنني أردت أن أبرهن لكاترينا أننا فعلاً على وشك الزواج، لكنك تعلقت بي كعذراء متعطشة إلى عناق حبيبها».

- لست...

- ألست عذراء؟ أهذا ما ستقولينه لي؟

- ليس هذا ما أردت قوله. أردت أن أقول إنني لست متعطشة لعناقك أو حتى للزواج منك.

- هل أنت عذراء؟

- ماذا لو كنت كذلك؟ أهذه جريمة؟

- لا. لكن الأمر...

انقطع حديثهما الصباحي فجأة بفعل صوت سيارة تصل إلى الساحة القريبة.

قال لها لورنزو بنبرة رجل أعمال: «هذا هو ألفريدو».

وأردف: «تعالي إلى مكتبي حالما ترتدين ثيابك. سوف يطلعنا ألفريدو على الأوراق الضرورية لزواجنا».

راقبت جودي لورنزو يغادر. أرادت بكل قواها أن تقول له إنها غيرت رأيها. أرادت أن تخرق تعجرفه، وأن تخز كبرياءه بالطريقة ذاتها التي وخزها بها. كيف أمكنها أن تتجاوب معه كما حصل؟ من الواضح أنه بات يعتقد الآن أنه يستطيع أن يستخدم ضعفها ضدّها كي يرغمها على فعل ما يريده منها. كل كلمة قالها لها وكل نظرة رمقها

بها برهنت بصراحة على أنه يعتقد أنه أصبح يمتلكها. لكنها ليست ملكه، ولن تكون كذلك أبداً. أيقنت جودي ذلك، وسوف تجعله يدرك ذلك أيضاً. لكن ماذا لو لم تستطع؟ إلى أي مدى أرادت أن تعزّز كبرياءها وتظهر في زفاف جون ولويس برفقة زوجها الجديد؟ هل يستحق ذلك الأمر المخاطرة؟

بالطبع يستحق! هذا ما قرّرته جودي بعزم جديد، فيما جمعت بعض الثياب النظيفة وتوجهت للاستحمام. مهما قال لورنزو أو فعل، لا شيء يغيّر حقيقة أنها بكل بساطة لا تريد علاقة عاطفية مع أي رجل قط، فقد برهن لها جون أنها لا تستيطع أن تثق بالجنس الخشن. ما دامت لم تتمكن من الوثوق بجون حين قال لها إنه يحبها وإنه يريد الزواج بها، فهي بالطبع لن تخاطر وتثق برجل مثل لورنزو!

بعد خمس عشرة دقيقة، وبعد أن أنهت الاستحمام وارتداء ملابسها، ربطت جودي شعرها الذي ما زال رطباً إلى الخلف، وتوجهت مترددة إلى مكتب لورنزو، وكان قد دلها عليه في الليلة السابقة.

بإمكانها أن تقسم إنها لم تعلن عن وجودها بأقل صوت، أو حتى رفعت يدها لتطرق الباب بلطف. مع ذلك وبطريقة ما، خمن لورنزو وجودها، إذ قبل أن تفعل ذلك، فتح الباب ثم جذبها من ذراعها... بالطبع، يبدو لأي متفرّج أنه يحميها ويقربها منه، لاسيّما إن نظر إلى أصابعه النحيلة القوية التي تلتف حول رسغها. بدت قبضته كأنها قبضة حبيب يود أن يعلن للجميع الصفة الحصرية لعلاقتهما، لكن جودي بالتأكيد تعرف الحقيقة.

قال لها: «بدأت أتساءل ما الذي أخرك».

اعترضت مدافعة: «تأخرت ربع ساعة فقط».

- هذا يعد عمراً بالنسبة لنا.

قال لها لورنزو هذا بلطف، وهو ينظر إليها نظرة ملؤها الشغف

الواضح، ما جعل عينيها تتسعان قبل أن تتمكن من ردع نفسها من التجاوب. شعرت بالخشية من تلك النظرة التي كشفت عن رغبة في تملكها بحيث تفحصتها بحميمية بالغة من رأسها حتى أخمص قدميها. كيف يبدو الأمر بحق السماء لامرأة يحبّها هذا الرجل بصدق؟ إنه رجل لا يشعر بالخجل أو الخوف من التعبير عن مشاعره، إلا أن جودي تدرك بالطبع أن لورنزو لا يحمل أي مشاعر نحوها، وهي لا تريده أن يفعل. هذا ما ذكرت نفسها به.

- ألفريدو! تعال، ودعني أعرّفك على خطيبتي.

بدا المحامي ألفريدو في مثل سن لورنزو تقريباً، لكنه لا يشبهه مطلقاً بطول قامته ووسامته. بالرغم من ذلك، يتمتع الرجل بعينين رماديتين متلألئتين جميلتين، وبابتسامة ناعمة.

حيّا ألفريدو جودي بحرارة قائلاً: «أخبرني لورنزو عنكِ للتو. ظننته يبالغ كما يفعل المتيمون عادة، لكنني الآن أرى أنه لم يعطك حقّك».

بدا من الواضح أن محامي لورنزو يتصرف بدماثة، ولو أن كلامه بدا مديحاً غير منطقي. عرفت جودي ذلك، لكنها لم تستطع إلا أن تبتسم له ابتسامة ضاحكة، وشعرت فوراً بالارتياح لحضوره. أكمل ألفريدو: «لا عجب أنك متشوّق جداً لتسرع بها إلى المذبح، لو كنت مكانك...».

قاطعه لورنزو: «لكنك لست مكاني. أليس كذلك؟».

لم يبدُ أن المحامي شعر بالاهانة، إذ ضحك وقال: «لا داعي للشعور بالغيرة، فأنا أستطيع أن أرى أن جودي مولعة بك وحدك».

في الوقت الذي حاولت فيه جودي أن تستوعب هذه الكذبة، أردف قائلاً: «سألت لورنزو أين التقيتما. أفترض أنكما التقيتما عندما كان لورنزو خارج البلاد على أثر الهزة الأرضية المريعة. أعلم أن لورنزو كان هناك بصفته مستشاراً لمسؤولي الحكومة الذين يديرون

برامج المساعدة التابعة لنا. هذا يذكرني لورنزو، أنني بناء لطلبك - أمّنت المال الكافي لتغطية تكاليف الطبابة للأطفال الذين سوف ينضمون إلى برنامج الأطراف الاصطناعية».

استدار ألفريدو نحو جودي، ومنّ عليها بابتسامة جذّابة مصحوبة بهزة كتف كئيبة، فيما تابع قائلاً: «سوف تعرفين أن زوجك العتيد يتميّز بقلب رقيق وكرم فيّاض حين يتعلق الأمر بمساعدة ذوي الحاجات. هل قابلته خلال إحدى حملاته الخيرية؟».

شعرت جودي بوجهها يحترق، فيما تذكرت تعليقاتها اللاذعة السابقة لورنزو. نظرة واحدة إلى وجه لورنزو المتجهم بدت كافية لتوضح لها أن ثرثرة ألفريدو غير الحذقة لم ترضه على الإطلاق.

أوقفه لورنزو قائلاً: «لا تعمل جودي في أي من برامج المساعدة، ألفريدو».

ثم أردف: «التقيتها منذ فترة طويلة في إنكلترا. خططت لإحضارها إلى هنا لتتعرف إلى جدتي، لكن لسوء الحظ، توفيت جدتي قبل وصول جودي، ما يعود بنا إلى موضوع أرملة ابن عمي المتوفي، كاترينا».

طمأن ألفريدو لورنزو على الفور: «ليس لها حق المطالبة بحصن كاستيلو حين تفي أنت بشروط وصية جدتك، وتتزوّج».

قال له لورنزو بسخرية: «لن تطالب بالكاستيلو، لكن يبدو أنها تشعر أن من حقّها المطالبة بي».

ظهر العبوس على وجه ألفريدو، وعلق قائلاً: «لكن هذا مستحيل».

- فعلاً. لكن كاترينا، كما نعرف كلانا، ميّالة إلى المبالغة، ومن السخافات التي تفوهت بها أن جدتي تمنت أن أتزوج بها. بعد أن خدعت جينو ودنّست اسمه في التراب، يبدو أنها ترغب في تكرار الأمر نفسه معي.

وافق ألفريدو بعدم ارتياح: «وقد لاكتها الألسنة بما يكفي حتى الآن».

علق لورنزو بلطافة: «حبّذا لو أن الأمر لا يتكرر بالنسبة لزواجي أو لزوجتي العتيدة، لذا أرجو منك تنبيه الأشخاص المعنيين كي يتجاهلوا كل ما قد تقوله كاترينا عن هذا الموضوع».

- فكرة ممتازة.

وافق ألفريدو، فيما كانت جودي تستمع وتستوعب بصمت طريقة لورنزو الحاسمة والمدروسة في تهميش كاترينا. بدا من الواضح أن لورنزو عدوّ لدود حين يتعلق الأمر بالحصول على ما يريده. وبالرغم من أنه يبدو غير مبالٍ، متعجرف، وخطير، فقد تبرع بوقته وثروته لمساعدة ضحايا الكوارث والحروب لاسيما الصغار منهم. إنه ليس مجرد رجل واحد فقط، بل هو رجلان مختلفان في جسد واحد. بدا لها أن لورنزو شخص غامض، وأن التناقضات المتباعدة في داخله صيّرته من أشد الرجال خطراً. لكن ليس بالنسبة لها... لن يشكل أي رجل خطراً عليها بعد الآن.

- أحضرت معي كل المستندات التي ستحتاجان إلى توقيعها تحضيراً لزواجكما. بدا الكاردينال متعاوناً جداً، واقترح إقامة المراسم في كنيسة مادونا في فلورنسا، وتعهد بأن يقرأ إعلان الزواج بدءاً من يوم الأحد القادم. وبما أن إعلان الزواج يجب أن يُقرأ في يومي أحد متتاليين قبل إجراء مراسم الزواج وفقاً للقانون، فهذا يعني أنكما تستطيعان الزواج بعد أسبوعين من اليوم.

إعلان زواج...؟ وفي الكنيسة...؟ يفترض أن يكون زواجهما إجراء مدنياً مؤقتاً، ولا داعي ليحتفلا به في الكنيسة. أخذت جودي بالتقدم، لكن لورنزو استطاع أن يحول بينها وبين ألفريدو. شعرت بأصابعه تلتف بحزم حول رسغها، كما تمكنت من رؤية التحذير في عينيه، فيما رفع راحة يدها التي كان يمسكها بإحكام نحو شفتيه.

قال لورنزو موافقاً، من دون أن يشيح بنظره عن جودي: «حسناً فعلت، ألفريدو. أليس كذلك، حبيبتي؟

داعبت شفتاه أصابع يدها، كلاً على حدة، فشعرت بأصابعها تبتعد عن راحة يدها في تجاوب واضح لتوددِه.

- أحضرت أيضاً الأوراق الضرورية كي توقعاها ليصبح الاتفاق رسمياً بينكما. ثمة ورقة عليك أن توقعيها جودي، وفيها تتنازلين عن إقامة أي دعوى مالية في المستقبل ضد لورنزو في حال الطلاق، وأخرى فيها إقرار بأنه في حال فسخ الزواج بعد اثني عشر شهراً، سوف يدفع لك لورنزو مليون جنيه استرليني، بالإضافة إلى مليون جنيه في كل سنة إذا بقيتما متزوجين.

- سوف أوقع الورقة التي تؤكد التنازل عن أي دعوى قد أقوم بها ضد لورنزو، لكنني لا أريد ماله.

خرجت تلك الكلمات من فم جودي قبل أن تستطيع ردع نفسها. على الفور ظهرت المفاجأة على وجه ألفريدو، يرافقها شيء من الخجل.

- بالطبع! من غير المستحسن التكلم عن أمور كهذه الآن، قبل أن تتزوجا، لكن...

كررت جودي: «لا أريد المال».

- يمكننا أن نناقش هذا في وقت لاحق على انفراد.

قال لورنزو هذا بنبرة تحذيرية، قبل أن يبتسم لألفريدو ويقول له: «أمامك رحلة طويلة إلى روما، وكلما أسرعنا في توقيع الأوراق كلما كان ذلك أفضل».

* * *

- لمَ علينا أن نجري المراسم في الكنيسة بدلاً من إجراء احتفال مدني بسيط.

مضت ساعة من الوقت على مغادرة ألفريدو، لكن معدّل

الأدرينالين في دم جودي بلغ أوجه حين واجهت لورنزو عبر طاولة المكتب.

- تتم مراسم الزفاف في عائلتنا على هذا النحو، وهذا ما يتوقعه الجميع منا.

- كان يجدر بك أن تخبرني مسبقاً. ظننت أننا سنقيم زواجاً مدنياً فحسب. الزواج في الكنيسة سيجعل الحدث يبدو حقيقياً...

ظهر العبوس على وجه لورنزو وهو يقول: «سوف يكون زواجنا حقيقياً. هذا هو الهدف منه. عليه أن يبدو حقيقياً كي أستوفي شروط وصية جدّتي. سيكون على الأقل كذلك في الطريقة التي يتم بها، لكن ذلك لن يشمل بالطبع، إقامة علاقة حميمة».

وافقت جودي بنبرة عنيفة: «لا! بالطبع لا».

وأكملت: «بدأت أندم على تورطي في هذا الأمر».

- فات الأوان الآن، بالإضافة إلى أنني سأعوّض عليك بصورة جيدة.

- قلت لك إنني لا أريد مالك. كل ما أريده منك هو مرافقتي إلى زفاف جون ولويس.

- ليس بوسعي أن أذكر هذا في عقد الزواج. من المتوقع أن تكثر الثرثرة والتوقعات بشأن علاقتنا، لكن ألفريدو إلى جانبك، ومن الواضح أنه كان خائفاً من جرح مشاعركِ عندما تحدث عن المسائل المالية المتعلقة بزواجنا.

- لا يمكن لذلك أن يجرح مشاعري، فأنت لست شخصاً هاماً في حياتي. سأحرص على ألا أهتم لأي رجل بعد الآن.

- هل تنوين أن تموتي عذراء؟

من الواضح أن لورنزو يسخر منها. أدركت جودي ذلك، فقالت: «ماذا في ذلك؟ ثمة الكثير من الأشياء الأكثر أهمية في الحياة من العلاقات الحميمة».

- كيف عرفتِ؟ اعترفت بنفسك أنك لم تختبري هذه التجربة مطلقاً.

لقد طفح الكيل!

- لن أستمع إلى المزيد من هذا الحوار.

استطاعت جودي أن تشعر بوجهها يحترق بلون الخجل فيما غطت أذنيها بيديها.

- أنا أوضح فكرة أنك ترفضين شيئاً من دون اختباره.

- ماذا عنك؟ أنت ترفض الزواج الحقيقي. أليس كذلك؟ وأنت لم تتزوج من قبل. هل فعلت؟

- لم أتزوج، لكنني شهدت زواج الكثيرين، ورأيت كم هو زائف وخادع، وكيف يستخدم ليخفي الأنانية والطمع، وكيف يولد الأولاد ويُتركون ليتعاملوا مع المشاحنات والمشاكل التي يسببها كذب أهلهم.

- هذا لا ينطبق على كل الزيجات. صحيح أن بعضها لا ينجح، إلا أن ثمة الكثير من المتزوجين السعداء. ابن عمي وزوجته يحبان بعضهما كثيراً، كذلك والديّ، كانا سعيدين...

- أحقاً؟ إذاً كيف يعقل أن تلك الجينة الرائعة التي مكنتهم من تحقيق النعمة النادرة فاتتكِ؟

- يتعلق الأمر بإمكانية انتقاء الشريك المناسب. أدركت مع جون أنني لا أملك تلك القدرة، لهذا لا أنوي مطلقاً أن أسمح لنفسي بأن أقع في الحب مرة ثانية، لكن هذا لا يعني أنني لا أؤمن بنجاح الزواج أو أن بعض الناس لا يمكنهم أن يختاروا الشريك المناسب.

أجابها لورنزو متحدياً، وكأنه توقع منها أن تعارضه: «مجنون هو من يعتقد بأن الانجذاب الجسدي يدوم إلى الأبد».

قررت جودي ألاّ تنخرط في المزيد من النقاش، فقد استفاق في داخلها شعور خطير حتى بالكاد استطاعت التركيز على ما تقوله.

أكمل لورنزو: «آه! بالمناسبة، لا تعتقدي أنني اقتنعت بتعليقك

البارع بأنك لا تريدين المليون جنيه. ما الذي تقصدينه بذلك؟ أتظنين أنك إذا رفضتِ المبلغ الآن، سوف تحظين بمركز أقوى لتطالبي بالمزيد حين نتطلّق؟ إن كان ذلك ما تفكرين به، دعيني أحذرك...».

طفح الكيل مع جودي، فأجابته: «لا! دعني أنا أحذّرك أن السبب الوحيد الذي دعاني إلى الزواج بك هو رغبتي في الإثبات لجون أنه ليس الرجل الوحيد على سطح الكرة الأرضية، وبأن أرفع رأسي عالياً في دياري، فلا أدعهم يشفقون عليّ. كبريائي هي التي حفّزتني لا رغبتي في المال. لا أريد مالك! وبالطبع لا أريد... خبرتك في العلاقات العاطفية أيضاً».

ردّ عليها لورنزو: «آه! هذا جيد. لأنني لن أقدمها لكِ».

بعدئذٍ أردف: «يدهشني أنه في عالمنا الحضاري هذا، ما زال هناك بعض المفاهيم البالية التي تفيد بأن الرجال الناضجين يتوقون خفية إلى النساء العذراوات. أنا شخصياً، لا يمكنني أن أفكر بشيء أقل إغراء. وربما كان ذلك سبب اختيار خطيبك السابق لامرأة غيرك. هل خطر هذا الأمر ببالك؟».

هل فكرت بذلك؟ أمضت جودي الكثير من الليالي والأيام التي لم تفكر فيها إلاّ بذلك الأمر لاسيّما في الأسابيع الأخيرة. لطالما استلقت في سريرها، وتساءلت كيف يمكنها أن تتحول إلى امرأة خبيرة جذابة يمكنها أن تغوي جون وتبعده عن لويس، كما فعلت لويس وأبعدته عنها. لكن ذلك الأتون الثائر وتلك النيران مع دوافعها الخطيرة المدمّرة بردت الآن، وهي بالطبع لن تسمح لها بأن تشتعل مجدداً من أجل رجل مثل لورنزو.

فجأة، أخذ النبض في شرايين جودي يزداد قوة. لم يعد مجرد نبض عادي، بل صار وجعاً عميقاً.

٧ - غيرة أم احتراس؟

- ثمة شيء أريد أن أخبرك إياه.

وقفت كاترينا أمام جودي، معيقة طريق خروجها من الحديقة الجميلة التي غادرت غرفتها كي تستكشفها.

- لماذا جاء ألفريدو إلى هنا؟

- أليس من المفترض أن تطرحي هذا السؤال على لورنزو؟

حاولت جودي أن تتحرك إلى الأمام.

- لورنزو لا يريد الزواج بك في الحقيقة، هو يريدني أنا. لطالما أرادني، وسوف يفعل دائماً... دائماً وأبداً. أنا حبه الأول، ويجب أن أكون الأخير، لكنني اخترت الزواج بابن عمه. يشعر لورنزو أن عليه معاقبتي بإظهار عدم اهتمامه بي، لكنه ما زال يريدني. أستطيع أن أبرهن ذلك في أي وقت.

أرادت جودي أن ترفض بشدة المعلومات التي أرغمت على سماعها، بالإضافة إلى الصور المثيرة للاشمئزاز التي راحت تدور في رأسها. إنها ليست من أولئك النساء اللواتي يستمتعن بسرقة رجال النساء الأخريات. هذا ما قالته جودي لنفسها غاضبة.

تفاخرت كاترينا بنفسها قائلة: «مهما كان ما قاله لكِ، فإن السبب الوحيد الذي يدعوه للزواج بك هو كبرياؤه العنيدة، التي تجعله يعتقد أن عليه مقاومة مشاعره تجاهي، كي يبرهن مدى قوته. الحقيقة هي أن لورنزو يخاف من حاجته إليّ».

أضافت كاترينا بسخرية: «حين يصطحبك إلى السرير، سوف

يتصوّرني أنا بين ذراعيه، ويتمنى سرّاً لو أنني أنا زوجته لا أنت».

نظرت إلى جودي نظرة ازدراء مماثلة تماماً لتلك النظرة التي رمقتها بها لويس، فانتفض قلب هذه الأخيرة بنبضة خوف، واستطاعت أن تشعر بصدى ذكريات ألمها ورفضها. بدأت جودي الكلام بجرأة بالرغم من انزعاجها: «ربما كنتِ ولورنزو عشيقين في أحد الأيام...».

أوقفتها كاترينا قائلة: «ربما؟ ليس من «ربما» في الموضوع. كنا فعلاً عشيقين».

تابعت بوقاحة: «كان متيّماً بي حتى العبادة. لم يكن يستطيع مقاومتي».

أخذت معدة جودي تضطرب مسببة لها الغثيان. وداخل رأسها استطاعت أن تسمع لويس تقول لها بنبرة ملؤها الانتصار: «جون لا يستطيع مقاومتي».

- حصل جدال ما... سوء تفاهم. كان لورنزو يافعاً ومتسرّعاً، ولم أشأ أن أدعه يعاملني بهذه الطريقة، فقررت أن ألقنه درساً وأتركه.

تمكنت جودي من تخيل تصرف لورنزو. لابدّ لكبريائه أن يفور حنقاً، لكن أليس الحب الحقيقي أقوى من الكبرياء؟

- هو يتزوج بك لأنه لا يملك أي مشاعر تجاهك. لورنزو خائف من مشاعره نحوي، وكبرياؤه تحفزه للمكافحة ضدّها، لكنه لن يكافح إلى الأبد. لا يمكنه القيام بذلك، فحبه لي قوي جداً.

أجبرت جودي نفسها على الاعتراض: «هذا سخيف! ما من سبب يمنعه من الزواج بك لو أراد ذلك».

أصرّت كاترينا بغضب: «يقع اللوم على موقف أمه السخيف، فقد عارضت زواجه بي».

أردفت: «بسببها يخاف لورنزو من الاعتراف بحبه لي علناً. بسببها يحاول إنكار حبه ويبتعد عني، لكن يمكنني أن أجعله يعود إليّ

بسهولة».

أشارت جودي: «أليست أمه ميتة؟».

- لم يسامح لورنزو أمه قط على خيانتها لوالده، وتركه له ولابنها حين هربت مع عشيقها.

هزّت كاترينا كتفيها هزة ازدراء خفيفة، فيما تابعت تقول: «أعطى الأمر أهمية أكثر مما يستحق. كان طفلاً في السابعة من عمره، وحظي بوالد غني بما يكفي ليوفر له كل ما يريده. لكن لم يكن ذلك كافياً بالنسبة إلى لورنزو، فقد أراد أن تعود أمّه... حتى إنه توسل إليها كي تعود. أخبرني جينو بهذا. كان متيماً بها، وكذلك كان أبوه. كانا يعتبرانها سيّدة بكل ما للكلمة من معنى. قلت للورنزو عدة مرات أن من الجنون أن يبكي على أطلال ما حدث في طفولته، إذ سوف نرى دائماً نساء ورجالاً يتخلّون عن أطفالهم. لورنزو نفسه سوف يتخلى عنك يوماً ما ليعود إلي، إذا تصرفت ببلاهة وأصريت على الزواج به».

أردفت كاترينا: «سوف أتاكد من الأمر. وأعدك أنني حين أفعل، لن يستطيع مقاومتي».

تماماً كما لم يستطع جون أن يقاوم لويس! ما سرّ هؤلاء النساء، اللواتي يضعف الرجال أمامهن غير مدركين لأنانيتهن؟

بالنسبة إلى امرأة خصّها لورنزو بحبه كما تدّعي، لم يبدُ على كاترينا أنها تتعاطف معه. هذا ما اعتقدته جودي. من جهة أخرى، بالنسبة إلى صبي في السابعة من عمره فقد الأم التي أحبّها بهذا القدر كما وصفت كاترينا، من الطبيعي أن يترك ذلك أثراً نفسياً عميقاً عليه. إذا كان قد أحب كاترينا فعلاً، فلابد أن زواجها بابن عمه عزّز اعتقاده بأن النساء لسن موضع ثقة، كما أنهن سطحيات، مخادعات وأنانيات.

يا إلهي! ما الذي أفعله؟ سألت جودي نفسها باشمئزاز. بالطبع، لا يمكنها أن تتعاطف مع لورنزو.

فيما راقبت جودي كاترينا تغادر، طمأنت نفسها أن من الجيد أنها لن تتزوج لورنزو بدافع الحب.

صارت وحيدة في الحديقة، فاستدارت لتنظر إلى هيكل الغرانيت المجاور للكاستيلو. لو أنها مكان لورنزو لما تورطت في زواج غير مرغوب فيه لتمتلك مكاناً كهذا، لكنها ليست لورنزو. فكرت جودي باستياء، لابدّ أن الأمر يعود إلى كبرياء عائلية متأصلة فيه.

تجمّدت في مكانها حين سمعت وقع خطوات على الحصى. عرفت على الفور أنها خطوات لورنزو. راح يزحف ببطء في داخلها إحساس بوخز خفيف. كما أن مزيجاً من الخطر والحماس والتحدي راح ينبض في جسدها كله مع تسارع نبضات قلبها. شعرت ببعض الاطمئنان حين قارنت إحساسها في هذه اللحظة مع إحساسها حين التقت جون لأول مرة. الاحساسين لا يشبهان بعضهما في الحالتين، وبالتالي ما تشعر به الآن ليس نابعاً من انجذابها إلى لورنزو.

- رأيت كاترينا تتحدث إليك. أخبريني! ما الذي قالته لكِ.

بدا من الواضح أن لورنزو يتوقع الاستجابة دائماً لطلبه، وكأن له الحق في سؤالها والحصول على الإجابة.

أجابته جودي بصراحة: «أخبرتني أنكما كنتما عشيقين».

عاد يسألها رافضاً أن يتأثر بما قالته: «وماذا أيضاً؟».

هزّت كتفيها، وأجابته: «وأنك مستعد لأن تفعل أي شيء لتمتلك حصن كاستيلو، لكنني كنت أعلم هذا. أخبرتني أيضاً أن أمك هجرتك، وهجرت والدك حين كنت صغيراً، وهذا ما لم أكن أعرفه بالطبع».

على الفور انقبضت تعابير لورنزو، وقال: «ما حدث في طفولتي يبقى في الماضي، ولن يؤثر أبداً على حاضري ومستقبلي».

إنه مخطئ بشأن ذلك. طفولته حملت الكثير من المشاكل المؤلمة التي لم يتوصل إلى حلها. هذا ما قررته بسرعة.

- كيف حال رجلك؟ لاحظت أنك رحت تحكينها حين كان ألفريدو هنا.

ما الذي جعله يتفوه بذلك التعليق؟ أهو قلقه عليها أم محاولة مقصودة لتغيير الموضوع؟ لكن لم يمنعها ذلك من إجابته.

- هذه مجرد عادة... ولا تعني... أن رجلي غير سليمة.

بدأت جودي تتصرف بارتباك، وكأنه وجه إليها نوعاً من المديح. هذا ما أدركته غاضبة. لابدّ أن رفض جون لها سحق تقديرها لذاتها، لكنه بالطبع لم يحولّها إلى حالة تستحق الشفقة، لتشعر أنها ممتنة لرجل يسأل عن صحتها. إلا أن تعليق لورنزو ذكرها بأمر عرفت أن عليها القيام به.

الآن هو الوقت المناسب على الأرجح للقيام به، لأن الضوء الباهت لن يسمح للورنزو برؤية احمرار وجهها.

قالت له على وجه السرعة: «أنا... أنا أدين لك باعتذار».

تابعت بخجل: «أدركت مما قاله ألفريدو أنني كنت مخطئة بقولي إنك لا تعرف شيئاً عن أهوال الحرب».

- هل تعتذرين لي عن خطأ في الحكم عليّ؟

خاطرت جودي، ورفعت نظرها إليه بنظرة سريعة.

قالت: «نعم. أنا أعتذر».

تابعت بجرأة: «لكن لو أنك أخبرتني عن عملك في بادئ الأمر، لما احتجت إلى ذلك!».

- «ه. عرفت أنك ستجدين لنفسك تبريراً ما. لم ألتقِ بعد المرأة التي تعترف أنها هي من يقع عليها اللوم.

اعترضت جودي على الفور: «هذه المبالغة هي أسخف ما سمعته في حياتي، فهي تشبه القول...».

قاطعها لورنزو قائلاً بلطف: «...إنك لن تثقي برجل آخر لأن أحد الرجال خذلك؟».

ردّت جودي عليه بتهوّر: «لا! هذا قرار شخصي اتخذته بشأن مستقبلي. ولا يعني... لم أقل إن الرجال كلهم ليسوا موضع ثقة. ربما يجب أن تبحث عن السبب وراء تفكيرك بهذه الطريقة، بدلاً من إلقاء اتهامات لا أساس لها من الصحة ضد الجنس اللطيف!».

قال لورنزو ساخراً: «أكان ذلك اعتذاراً؟».

شعرت جودي برغبة شديدة بأن تقول له إنها غيّرت رأيها، وإن عليه إيجاد امرأة أخرى لتساعده في المحافظة على حصنه الرهيب، إلا أن عزمها على إنقاذ كبريائها عن طريق إيجاد زوج يحل محل خطيبها السابق، منعها من تغيير رأيها. جودي لا تريد الانتقام أو المال، فتلك المطامح عديمة القيمة بالنسبة إليها، لكنها أرادت بشدة أن تختبر تجربة تعزيز الأنا في داخلها عبر رؤيتها لوجوه الجميع حين تظهر في الزفاف بصحبة لورنزو.

إذا ما رجعت بصحبة زوج وسيم، ثري، وذي لقب، لن ينظر الناس إليها نظرة إشفاق، أو يحدقون برجلها حين يعتقدون أنها غافلة عن نظراتهم، أو يتهامسون حولها شارحين هويتها وحكايتها. ربما بدا الأمر سطحياً أو أحمق... نعم، هناك جزء منها يشعر بالخجل لأنها تستسلم لحاجة مماثلة، لكنها مصرّة على القيام بذلك، حتى لو سرقت الأضواء من العروس.

وخزتها رجفة خفيفة من الوعي المفاجئ لقوتها المتزايدة. قبل شهرين، كانت محبطة إلى حد أنه لم يخطر ببالها أنها قد تشعر بتلك القوة يوماً. من يعرف ماذا يمكنها أن تحقق حين تنتهي من هذا الزواج؟ ربما تبدأ حياة جديدة تماماً، حياة تفعل فيها ما تود فعله.

سألها لورنزو بفظاظة: «ماذا تأملين؟ أتعتقدين أنه عندما يظهر عند المذبح ويراك سوف يتركها ويعود إليك؟».

حدّقت جودي به، وانتفضت قائلة: «كيف عرفت أنني أفكر بجون؟».

- ثمة نظرة خاصة تظهر في عينيك حين تفكرين به.

كذبت جودي قائلة: «حسناً! أنت مخطئ، لم أكن أفكر به. كنت أفكر بما علي القيام به في المستقبل. لم أكن في حالة صحية جيدة لأرتاد الجامعة، أو لأتمرن على القيام بأي عمل بعد الحادث، أما الآن فلا شيء يردعني».

- رائع جداً.

تعليق لورنزو أوضح لها أنه وجد خططها بالنسبة للمستقبل ليست ذات قيمة.

تابع مقترحاً: «إن لم نذهب الآن ستأتي ماريا وتحذرنا أنه حان موعد العشاء. آمل أن تكوني ممن يحبون المعكرونة، لأن هذا كل ما ستحصلين عليه على الأرجح. ماريا تجيد تحضير الأنواع البسيطة من الأطعمة، لكن طعامها على الأقل يزيدك سمنة».

لعلها نحيلة إلى حد ما، لكن لا ضرورة لأن يذكرها بذلك، علماً أن الألم العاطفي يسبب النحول. هذا ما فكرت به جودي بغضب، فيما استدارت لتسير مبتعدة عنه. حذّرها لورنزو قائلاً: «احذري!».

أردف بسرعة: «ثمة درجة هنا...».

لكن كان الوقت قد فات. أطلقت جودي صرخة بسيطة فيما فاتتها الدرجة في وسط الظلام فتعثرت وهوت إلى الأمام.

لم تشعر إلاّ بيدين قويتين تلتقطان خصرها. تماماً كما فعل في السابق، التقطها لورنزو قبل أن تسقط على الأرض، ورفعها لتقف على رجليها مجدداً.

تحولت لمسة يديه على انحناءة خصرها فيما كان يسندها إلى بحث استكشافي لتلك الانحناءة. أهو من جذبها إليه أم هي من اقتربت؟ هل حصل ذلك حقاً؟ تساءلت جودي عن ذلك بعد فوات الأوان على رفض تقاربهما الغريزي.

في الظلام المبهم، كان من المستحيل أن ترى وجهه، أو أن تقرر

من منهما حفّز هذا التقارب الجسدي الذي يتشاركان به. تمنت جودي أن يستحيل عليه قراءة تعابير وجهها.

أحنى لورنزو رأسه نحوها، وضمها إليه في عناق حميم غير متوقع ملؤه الشغف العارم. إلا أن هذا العناق انتهى فور ابتدائه تقريباً. بدون أي كلمة اعتذار أو تفسير، حرّرها من قبضته. أصبحت جودي الآن تحت وطأة خطر الانزلاق أكثر مما كانت عليه من قبل، هذا ما أدركته فيما قادتها رجلاها المرتجفتان فجأة نحو أضواء الكاستيلو.

* * *

كانت جودي على وشك الاستسلام للنوم حين سمعت صوت باب غرفة نوم لورنزو ينفتح. تنشقت نفساً عميقاً، وتوتر جسدها، فيما كان تركيزها منصباً على باب غرفتها. لكن صوت القدمين الثابتتين أخذ يضمحل بعد أن أكمل لورنزو مشيه من دون تردد.

سوّت جلستها، ونظرت إلى ساعة يدها. إلى أين تراه يذهب في مثل هذا الوقت المتأخر؟ إلى كاترينا؟ إذا كان الأمر كذلك، فما من سبب يدعوها إلى القلق.

بالطبع ليس هناك سبب كافٍ يدعوها للاستلقاء على سريرها وهي مستيقظة تماماً، متفحّصة ساعتها كل بضع دقائق، وأذناها تبذلان أقصى جهدها لاستراق سماع صوت رجوعه، مثل حبيبة غيورة.

٨ - عاقبة الفضول

فلورنسا! لكم أحبها حاكمها خلال القرون الوسطى لورنزو دي مديتشي... لكم أظهر حبّه لها بسخاء، موكلاً أبرع الفنانين الموهوبين في عصر النهضة تزيين مجدها وتحسينه.

التقطت جودي أنفاسها حين جلست بجانب لورنزو في الفيراري، بينما اتجه بها نحو منطقة الازدحام في المدينة. انحرف لورنزو بسيارته عن الطريق الأساسية المزدحمة المحاذية لنهر آرنو، موجهاً الفيراري إلى طريق تحيط بها مبانٍ أنيقة تعود إلى القرن السابع عشر.

أشار لورنزو إلى أحد المباني الفخمة، وقال لجودي بنبرة عادية: «تقع شقتي في هذا المبنى».

مالبث أن استدار نحو زقاق، ثم أكمل طريقه نحو موقف سيارات يقع تحت الأرض.

طرفت جودي بعينيها، لتتكيفا مع الظلام النسبي السائد في الموقف بعد اعتيادهما على نور الشمس الساطع في الخارج. كان لورنزو قد أعلمها مسبقاً أنه يعيش في فلورنسا، لكنّه لم يخبرها حتى هذا الوقت عن مكان استقرارهما حالما يتزوجان، إلا أن جودي توقعت أن يمضيا معظم أوقاتهما هنا لا في الكاستيلو. هذا ما فكرت به وهما يغادران السيارة.

أرشدها لورنزو عبر باب عريض نحو درج يؤدي إلى قاعة استقبال مهيبة، تزينها مجموعة من قطع الأسلحة المعروضة فوق الباب الأساسي. إنها القطع نفسها التي رأت صورها منقوشة بإتقان فوق

الموقد في قاعة الكاستيلو الضخمة.

أمرها لورنزو: «تعالي! المصعد من هنا».

تابع يقول: «تقع شقتي في الطابقين العلويين. اخترتهما حين أعدت تصميم القصر، فهما تطلان على مناظر رائعة. لطالما تذمرت جدتي، وتمنت لو أنني اخترت الطابق السفلي، فهي لم تكن تحب الأماكن المغلقة أو المصاعد».

علقت جودي بانشداه: «قصر!».

أردفت بتردد: «أتعني أن المبنى كله...؟».

- كان ملك عائلتي أصلاً؟ نعم. بناه الدوق العاشر، الذي كان يملك الكثير من المصالح التجارية في فلورنسا. عندما وصل إلى عهدة جدي كان قد وصل إلى حالة غير قابلة للإصلاح، تماماً كحصن كاستيلو. حين ورثته، وجدت نفسي أمام خيارين: إما أن أبيعه، وإما أن أعيد ترميمه، وأجد وسيلة تعوضني التكاليف الباهظة لهذا العمل. أخيراً رأيت أن تحويله إلى شقق هو الخيار الأفضل. بهذه الطريقة أستطيع أن أحتفظ بالسيطرة على أي عمل يتم إنجازه في المبنى.

سألته جودي ما إن خرجا من المصعد: «هل سيكون هذا المكان منزلنا بعد أن نتزوج؟».

تبعته عبر قاعة خارجية ذات أرضية أنيقة من الرخام، تنتهي ببوابة ذات مصراعين، زينتهما نقوشات خشبية معقدة.

- ستمر أوقات نعيش فيها هنا في فلورنسا، نعم. لهذا...

توقف لورنزو عما كان على وشك قوله كي يفتح البوابة قبل أن يفسح لها الطريق.

الغرفة خلف تلك البوابة هي عبارة عن قاعة أخرى. إنه مكان فسيح واسع مستطيل الشكل، مزود بشرفة داخلية على امتداد الطابق العلوي بكامله. أما سقفه، فهو على شكل قبة كبيرة في الوسط مزينة برسوم مستوحاة من الأساطير، فيما علقت اللوحات الفنية على

جدرانه.

- كانت عائلتي على الدوام راعية معروفة للفنون. حرص الدوق الحادي عشر على استقبال الزوار الإنكليز الذين أتوا إلى فلورنسا خلال ذلك الوقت في قصره، كما حرص على توفير التسلية لهم عن طريق الرفقة الممتعة، فقد كانت صالونات عشيقاته مشهورة جداً.

استفسرت جودي مشككة: «صالونات عشيقاته؟».

- الدوق الحادي عشر كان عاشقاً للجمال وللجميلات. كان يبقى في فلورنسا في هذا القصر المليء بالنساء الفاتنات، فيما يرسل زوجته وأولاده إلى فيلا تقع خارج المدينة. كان نصير الجمال بكل أشكاله، فكان يستدعي الرسامين لرسم عشيقاته في وضعيات مختلفة تظهر جمالهن وفتنتهن كما تظهر شغفهن به.

لم تستطع جودي أن تردع نفسها من النظر إلى الجدران، فقال لورنزو بكآبة: «لن تجدي أياً من هذه اللوحات هنا، فقد اختفت منذ وقت طويل. يُعتقد أنها سُلبت بناء لأوامر نابليون، فقد عرف بوجودها ورغب في الحصول عليها. إذا كانت موجودة في مكان ما، فلا بد أنها اليوم ملك لأحد جامعي اللوحات الفنية».

ثنى لورنزو طرف كمّ سترته المصنوعة من الكتان، وتفقد ساعته.

- الساعة الآن الرابعة تقريباً. اتصلت هاتفياً بصالون للأزياء يقع في شارع تورنابيوني، وحددت لك موعداً لمشاهدة تشكيلة التصاميم لديه. المديرة هناك سوف تساعدك على انتقاء الفستان الأنسب، بما في ذلك فستان الزفاف. المتجر ليس بعيداً من هنا و...

- لا!

استطاعت جودي أن ترى نظرة التكبر تُظلم عيني لورنزو. من الواضح أنه لا يحب أن تعترض خططه أي عقبات، فهذا أمر صعب جداً. قررت جودي بعزم إنها لن توافق مطلقاً على أن تُعامل بهذه الطريقة، وكأنها دمية غير عاقلة يلبسها تصاميم من أبهظ الأثمان، كي

يرضي ذوقه.

عبرت جودي عن وجهة نظرها بإلحاح: «أوافق على أنني بحاجة إلى شراء ما أرتديه لزفافي، لكنني قادرة تماماً على اتخاذ خياري الخاص، ودفع ما يتوجب علي دفعه من مالي الخاص. فكر بمقدار العناية الطبية التي يمكنك أن تؤمنها لأولئك الأطفال المحتاجين، بدلاً من تبذير مالك على ثيابي الباهظة الثمن».

وافق لورنزو قائلاً: «أنت على حق».

أردف موضحاً: «إلا أن المجتمع الإيطالي -على غرار غيره من المجتمعات- له قوانينه وموجباته. إذا ظهرت زوجتي بلباس مختلف عن لباس الزوجات الأخريات، فهذا سوف يطلق العنان للكثير من الأسئلة، التي قد تثير بدورها الشكوك حول صحة زواجنا، ما قد يؤدي أيضاً إلى تحدٍّ قانوني بأن شروط جدتي في وصيتها لم تنفذ. في الواقع، لن أعطي كاترينا مرادها على طبق من فضة بهذه الطريقة. وبما أن الهدف الأساسي من هذا الزواج هو تحقيق الشروط، فمن الضروري أن نتوافق مع توقعات المجتمع. لكي أجعلك تشعرين بالارتياح سوف أتعهد بأن أتبرع للمؤسسات الخيرية بمبلغ موازٍ لما تنفقينه على شراء ثيابك».

- هذه رشوة!

قالت له جودي هذا، لكن لورنزو ابتعد عنها في تلك اللحظة، فلم يترك لها خياراً غير اللحاق به.

اندهشت جودي حين وجدت أن تلك الصالة تفتح أبوابها على أخرى أكبر وأكثر اتساعاً، لكن هذه الأخيرة هي عبارة عن طابق واحد، فيه رسومات ومنحوتات معاصرة أكثر.

راح لورنزو يشرح لها بسخرية قائلاً: «على غرار أسلافي، أنا أعوض عن افتقادي للموهبة الفنية، بالاستمتاع بمقدرة أولئك الموهوبين وإبداعهم».

إلاّ أن جودي لم تكن تصغي إليه كلياً، بل كان انتباهها مشدوداً نحو مساحة كبيرة من الحائط المواجه للشرفة، مليئة برسومات صبيانية غير معقدة.

قال لها لورنزو بهدوء: «آه! هذه هي الرسومات الأكثر قيمة».

نظرت جودي إليه بشك، وعلقت: «إنها تشبه رسومات الأطفال».

- إنها كذلك. هذه الرسومات هي لأطفال فقدوا بعضاً من أطرافهم وهم ضحايا حروب متعدّدة. أنجزوا هذه الرسومات حين جُهزوا بأطراف جديدة، كجزء من علاجهم الحالي. الرسومات المميزة في وسط الحائط مرسومة بتلك الأطراف الجديدة.

اكتشفت جودي أن دموع التأثر تسارعت لتملأ عينيها. أزالتها بطرفة عين، ثم قالت للورنزو بصوت خفيض: «لا عجب أنك تقدّرها كثيراً».

استدار لورنزو إلى الجهة الأخرى، وقال: «عليّ أن أعرفك بأسانتا. إنها مديرة المنزل هنا، وهي سوف تعرفك بدورها على أجزاء الشقة المختلفة، فيما أقوم أنا ببعض الاتصالات الهاتفية».

بكلمات أخرى، ضجر لورنزو من رفقتها، وأراد أن يتخلص منها.

حسناً! لم يزعجها هذا. طمأنت جودي نفسها بذلك بعد عشر دقائق، فيما تلقت الرعاية من امرأة لامعة العينين في متوسط عمرها. أخضعتها المرأة إلى تفحص دقيق، ثم أمالت رأسها، وقالت بهدوء بلغة إنكليزية ممتازة: «تفضلي من هنا، أرجوك!».

بعد نصف ساعة كانت جودي قد رأت كل غرفة من الشقة، التي احتلت مساحة طابقين بدلاً من طابق واحد من المبنى الذي كان في ما مضى قصراً، وهو يضم اليوم حديقة فخمة على السطح تبهر الأبصار.

بدا من الواضح أن لورنزو يفضل المفروشات والتصاميم المعاصرة على التحف، لكن كان على جودي الاعتراف بأن هناك انسجاماً قوياً

بين المفروشات والغرف الكبيرة بسقوفها العالية.

تقع غرفة نوم جودي بمحاذاة ممر يفصلها عن غرفة لورنزو، وهي مزودة بغرفة لقياس الملابس بالإضافة إلى غرفة حمام. شعرت جودي بالارتياح حين صارت أسانتا تتصرف بطريقة أقل تكلفاً، فأخذت تشرح لها أنها عاشت لفترة من الزمن في لندن، وعملت في مطعم يملكه ابن عم أبيها، حيث تعلمت اللغة الإنكليزية وأتقنتها، والآن هي أرملة تقدر استقلاليتها، ثم أضافت أن عملها لصالح لورنزو يلائمها تماماً.

طمأنتها جودي بالقول: «اطمئني! لن أرغب في التدخل في طريقة إدارتك للأمور».

بالطبع هي لن تفعل! لن يشكرها لورنزو إذا ما تسببت في تقديم مديرة المنزل استقالتها.

- تعمل ابنة عمي تيريزا مديرة لفيلا الدوق بالقرب من سيينا. إنه مكان رائع هناك لتربية الأطفال، بمساحته الواسعة وهوائه المنعش.

فكرت جودي، فيما وقفت تحت مرشة الماء في حوض الاستحمام، وهي تتذكر حديثهما، حسناً! ليست هي من ستنجب أطفال لورنزو. راحت المياه تخز بشرتها كالإبر، فيما وقفت مستقيمة تماماً، متخيلة صوراً لأطفال صغار ذوي شعر أسود لامعاً... راحت هذه الصورة تجتاح مناطق دفاعها، وتدوس عليها. ما كادت تخرج من المغطس، وتلف جسمها بالمنشفة حتى سمعت طرقاً قوياً على باب الحمام، ثم سمعت لورنزو يناديها بقوة: «حان وقت مغادرتنا».

كذبت جودي قائلة: «أنا جاهزة تقريباً».

أطلقت شهقة خفيفة حين فتح لورنزو الباب، ومشى إلى الداخل.

تورد خداها حين شبك لورنزو ذراعيه، ثم استند على الباب الذي صار مقفلاً خلفه.

سألها ببرودة: «أهذه هي الجهوزية؟».

- لن أحتاج إلى وقت طويل كي أجفف جسدي، وأرتدي ثيابي.

لِمَ لا يرحل؟ هل يتوقع منها فعلاً أن تمر أمامه، وتتحرك بحرية تامة فيما عيناه تتفحصانها بنظرة جامدة، وتحدقان برجليها؟ بحكم العادة، استدارت جودي إلى جانب واحد محاولة أن تبعد رجلها المصابة عن نظره، كأنها مهتمة بإخفائها عنه أكثر من اهتمامها بكونها لا ترتدي سوى منشفة حمام على جسمها.

سألته بنبرة غير لبقة: «هل تود أن تنظر إلى رجلي مطولاً بعد؟».

وأضافت: «أعرف أن الندبات ليست ممتعة للنظر، لكن لا تقلق، يمكنني تغطيتها».

استغرق لورنزو بعض الوقت ليرفع نظرته من رجليها حتى وجهها، وحين فعل ذلك أخيراً، انتفض قلبها بين أضلاعها.

قال لها بنعومة: «ملامحك الآن تستحق أن تنقل بريشة رسام إلى لوحة فنية».

ثم أضاف بجدية: «فتاة شمالية جميلة مثلك سوداء الشعر، ذات قامة رشيقة ورجلين طويلتين... لا! لا ترمقيني بتلك النظرة العذرية الشغوفة».

وأردف: «... وإلاّ فقد تغويني كي أرضي ذلك الشغف في عينيك بعناق محموم».

ذكرته جودي قائلة: «أنت من دخل إلى هنا، ولست أنا من دعوتك».

- كاذبة! فأنت تدعينني في كل مرة تنظرين فيها إليّ، بتلك النظرات البتولية التي تظهر فضولك وتشوقك لتختبري شعورك وأنت بين ذراعي.

أجابته جودي بحدة أيضاً: «هذا ليس صحيحاً. إذا ما أردت عناقاً، وهذا ما لست أرغب بحصوله مطلقاً، فستكون أنت الرجل الأخير الذي أختاره».

أدركت جودي فوراً أنها بالغت في الكلام كثيراً، وأن تعجرف لورنزو لن يدعها تفلت من ذلك النوع من التحدي له، لكن الأوان فات على إدراكها هذا. أخذ لورنزو يمشي بخطى كبيرة نحوها، متجاهلاً صرخة اعتراضها المفاجئة، وتأثير جسدها الرطب على ثيابه، فيما سحبها من غرفة الحمام وحملها بين ذراعيه.

اعترضت جودي قائلة: «ضعني على الأرض».

إلا أن لورنزو لم يستمع إليها، مشى بها إلى غرفة النوم حيث وضعها على الأريكة ذات الغطاء الحريري الأخضر الباهت وتركها هناك. جلس إلى جانبها وسألها بلطف: «إذاً أنت ترغبين بالتحدي، أليس كذلك؟».

قربها منه بلطف وعانقها، مرر أصابع يده اليمنى في خصلات شعرها برفق دغدغ حواسها، ما جعلها عاجزة عن مقاومته، فأطبقت عينيها فيما ذابت بحميمية عناقه.

- آه! إذاً أعجبك ذلك؟

أنّت جودي باعتراض حانق، وهي تفكر أن ليس لديه الحق في أن يعانقها كما يفعل.

من الواضح أن لورنزو أخطأ في تفسير أنينها، لأنه همهم قائلاً: «أتشعرين بالمزيد من الفضول؟ حسناً!

لم تتخيل جودي يوماً أن عناق رجل سيثير فيها مثل هذه المشاعر، فمخيلتها لم تصل بها إلى أرض الحقيقة هذه يوماً. هذا ما اعترفت به مع إحساسها بالدوار. ارتفعت يداها لتلتفا حول عنقه، ملامسة شعره الداكن.

فاضت أشعة الشمس الغاربة على الغرفة في تلك الأمسية، فيما خالجها شعور بالانتصار اللطيف لتلك الحميمية وذلك الشغف اللذين تميز بهما عناق لورنزو لها.

- أما زلت فضولية؟

داعب لورنزو خصلات شعرها براحة يده الدافئة متجاهلاً رطوبتها. حبست جودي أنفاسها، عندما عاود ضمها إليه بقوة أكبر كأنه يرغب بانصهارهما معاً.

في تلك اللحظات، أحست جودي كأن حمّى عناقه امتلكتها فجأة، فسيطرت عليها، وحكمت كل نظام سيطرتها على نفسها.

سمعته يقول على مهل: «والآن، هل أشبعت فضولك؟».

لكنه لم يحاول أن يوقف عناقه الذي بدأ يعمق أكثر، فيما بادلته جودي العناق بلهفة بالغة. فجأة، ابتعد عنها لورنزو وأفلتها من بين ذراعيه. جلست جودي بتصلب على الأريكة رافضة أن تنظر إليه. شعرت بالإهانة من جراء ذل ما حصل، حتى كادت تذرف الدموع. لا يمكنها أن تخاطر وتتفوه بأي كلام. ليس بسبب عناقه لها، بل بسبب الطريقة التي تجاوبت بها مع ذلك العناق، وبسبب الرجل الذي تتجاوب معه من دون أي عناء.

أخيراً تمكنت من القول: «ما كان عليك القيام ذلك».

وافق لورنزو بحدة: «لا! ما كان عليّ ذلك».

أغمضت جودي عينيها، وتمكنت أن تشعر به ينسحب بهدوء ليقف على مقربة منها.

- سوف أتصل بالصالون لأعلمهم أننا ستتأخر عن الموعد قليلاً.

لمَ سمحت له بمعانقتها؟ لمَ لم توقفه على الفور؟

ارتدت ثيابها بأسرع ما يمكنها، واعدة نفسها بألا تسمح له بمعانقتها مجدداً. إلا إذا كان يفعل ذلك للتظاهر أمام الآخرين. لورنزو رجل إيطالي تقوده القوة والجاذبية والاندفاع، وهي صفات يتسم بها الرجال الإيطاليون. وبالطبع فإن تحديها غير الحذق دفعه كي يوصل تلك الفكرة إليها. وبالرغم من أنها تجهل ما الذي يدفعه إلى عناقها، لكنها عرفت أن ليس عليه القيام بذلك مجدداً.

وقف لورنزو في مكتبه ونظر متأملاً من خلال النافذة. إنه ليس من ذلك النوع من الرجال الذين ينقادون وراء نزواتهم، فلمَ سمح لنفسه أن يستسلم لها الآن؟ جودي ليست سوى امرأة أخرى فحسب، هذا كل ما في الأمر، حتى إنها عذراء عديمة الخبرة كما بدا واضحاً.

عديمة الخبرة... لكنها تجاوبت تماماً مع عناقه. أغمض لورنزو عينيه، وفجأة تراءت له صورة جودي كما رآها قبل بضع دقائق؛ ملتفة بمنشفة الاستحمام متوهجة الخدين، ومستسلمة لعناقه. إنه لا يفهم نفسه. لماذا يرغب أصلاً بالتقرب من المرأة التي اختارها ليتزوج بها لأسباب عملية محضة؟

كيف تمكن من إيجاد امرأة عديمة الخبرة في العلاقات العاطفية؟ مع ذلك تبدو جودي متلهفة إليه، تنظر إليه بعينين تطرحان سؤالاً قديماً قدم بدء التكوين؟ لكنه لا يملك الوقت الكافي ليجد امرأة أخرى تحل محلها الآن. مازالت كاترينا مصدومة لتبدأ بشن الحرب عليه، لكن حالما تستيقظ من تلك الصدمة سوف تعود إلى حيلها الخادعة السامة التي تمتاز بها. بالإضافة إلى ذلك، صارت فلورنسا كلها تقريباً تعرف هوية عروسه العتيدة.

* * *

تساءلت جودي بكآبة، ماذا يجدر بالمرأة أن ترتدي حين تود شراء ملابس تباع في صالة عرض لأحد المصممين؟ على الأرجح ليس ما ترتديه هي: سروال الجينز وقميص نظيفة، لكن بما أنها أحضرت معها فقط حاجياتها الأساسية إلى إيطاليا، فليس لديها سوى تلك الثياب الآن.

كان لورنزو بانتظارها حين عادت إلى قاعة الاستقبال الأساسية. ما إن دخلت الغرفة، حتى أعلن لورنزو متجهماً، وهو يتبعها نحو الباب الرئيسي: «ما حصل في غرفتك يجب ألا يحصل مجدداً».

إنه ينظر إليها، ويتكلم كما لو أنه يلقي عليها محاضرة. وكأن

الأمر برمته خطؤها. هذا ما أدركته جودي ناقمة فيما استقلا المصعد.

وافقته بعنف: «بالطبع!».

تابعت بجرأة: «لكنني لست أنا من حفّز الموضوع».

- ربما لا. لكنك لم توقفيني. هل فعلت؟

كان المصعد قد وصل إلى الطابق الأرضي. أخذت جودي حينها تتكلم بنبرة غاضبة: «لمَ يصبّ الرجال دائماً جام غضبهم على النساء حين يكونون هم من...؟».

لكن لورنزو قاطعها مذكراً إياها ببرودة، فيما أمسك باب المصعد مفتوحاً لها: «حواء هي من قدمت التفاحة إلى آدم».

علقت جودي بنبرة مضطربة: «هذا ما يتذرع به الرجال للهروب من المأزق».

وأضافت بتنغيمة ساخرة: «المرأة هي التي أغوتني...».

سألها لورنزو فيما أرشدها نحو المخرج المؤدي إلى الشارع: «إذاً، أنت تعترفين أنك فعلتِ؟».

ردت جودي غاضبة، وهي تطرف بعينيها بسبب أشعة الشمس القوية: «لا أعترف بشيء مماثل».

- سنختصر الوقت إذا مشينا إلى شارع تورنابيوني.

أخبرها لورنزو ذلك فيما أمسك بذراعها، وأومأ بالتحية باتجاه أحد المارة، متجاهلاً حنقها تماماً. أضاف: «من هنا. سنمر عبر الزقاق الذي سيؤدي بنا إلى الساحة».

نسيت جودي امتعاضها، وحبست أنفاسها مندهشة مما رأته حولها. تاقت لأن تحصل على الوقت الكافي لتتمكن من استيعاب كل ما حولها، إلا أن لورنزو راح يحث الخطى نحو الساحة، ثم باتجاه طريق ضيقة أخرى تتجه نزولاً، حيث تجثم كنيسة قديمة بين مبنيين، وباباها مفتوحان بترحاب.

تبين أن شارع تورنابيوني هو شارع واسع مليء بالمباني المهيبة

الفخمة والمتاجر الأكثر فخامة، إلى حد أن جودي وجدت نفسها تتراجع إلى الخلف حين وصلا إلى أحد المتاجر. فتح الباب لهما رجل يرتدي بذلة مرتبة، وتبعه لورنزو إلى الداخل. على الفور تقريباً، توجهت نحوهما امرأة يافعة أنيقة الملبس نحيفة، هي أشبه بعارضة أزياء أكثر منها موظفة في متجر للألبسة. انصبّ انتباه المرأة على لورنزو أكثر منه على جودي. بالطبع لم تفهم جودي ما قاله لورنزو لها، لكن لم يكن هناك شك في تأثير ذلك الكلام. تم إرشادهما إلى المنطقة الخلفية من المتجر وهي منطقة مغلقة خاصة، حيث اختفت سيدة الأناقة، لتحل مكانها امرأة أكبر سناً. بدت الأخيرة مذهلة أيضاً، وقامت بالتعريف عن نفسها على أنها مديرة المتجر.

أعلنت بلغة إنكليزية راقية: «تلقيت رسالتك، ونقلتها إلى صاحب الصالون».

ثم تابعت: «انتقى المصمم بنفسه عدة فساتين لتريها، وقد تم إرسالها إلى هنا من ميلانو».

أدركت جودي أنهما يُعاملان بكل إجلال واحترام، لكن بدا من الواضح أن المديرة أعجبت بلورنزو كثيراً.

استدارت المديرة لتنظر بحماس إلى جودي، ثم زفرت قليلاً: «حسناً! صحيح أن خطيبتك ليست طويلة القامة، إلا أن نحافتها متناسبة جداً مع ثيابنا. هلا أتيت معي؟».

اعتذر لورنزو قائلاً: «لدي بعض المشاغل العملية التي علي إنجازها، لكنني أعرف أنني أترك خطيبتي بأيدٍ أمينة. سأعود بعد ساعتين».

بدت المديرة خائبة الأمل، لكنها استسلمت للواقع. راقبت جودي لورنزو يغادر، فيما أقنعت نفسها بأن من السخف أن تشعر أنه تخلى عنها.

اصطحبتها المرأة إلى غرفة خاصة، حيث جلست على كرسي

صغير مذهب، فيما بدأ مساعدو المديرة بتعريفها باحترام على مجموعة من فساتين الزفاف التي تنتمي إلى المجموعة الأحدث للمصمم.

في الواقع، جودي ليست معتادة على ارتداء فساتين لمصممين مشهورين، لكن تلك الفساتين بدت مميزة جداً. يجدر بها الاعتراف أنها أعجبت بها كلها، لكن في نهاية المطاف يجب أن تختار منها واحداً، وهذا ما فعلته. انتقت فستاناً هو في الواقع عبارة عن صديرية ضيقة جداً مع تنورة مجعدة بأناقة، ناسبتها تماماً فبدا كأنه فستان كامل وليس قطعتين.

أبدت المديرة موافقتها على اختيار جودي.

- نعم. لكنت اخترت ذلك الفستان لكِ، فهو بسيط، لكنه أنيق في الوقت عينه، وذو إطلالة ملكية، فهو يبدو كفستان زفاف أميرة. ساعدنا الدوق كثيراً في تحديد مقاسك من خلال وصفه لك. في أحيان كثيرة يقول لنا الرجال شيئاً، ثم نكتشف...

هزت كتفيها هزة استسلام، وتابعت كلامها: «لكن لحسن الحظ، أصاب الدوق تماماً في وصفه».

بعد نصف ساعة، واجهت جودي انعكاس صورتها على المرآة. نظرت إليها امرأة يافعة بدت غريبة عنها. طرفت جودي بعينيها، وشعرت بهما تمتلئان بدموع التأثر. لو كان والداها موجودين، لرأتها أمها بهذا الثوب... ثوب زفافها. جعلها الفستان تبدو أطول قامةً، وسلط الضوء على خصرها النحيف. أما الصديرية المصنوعة من الدانتيل، وهي ذات كمين يصلان إلى حدود المعصمين، فأظهرت نعومة بشرتها. لكن ذيل الفستان بدا طويلاً وثقيلاً جداً، وخشيت جودي ألا تستطيع التكيف معه.

صاحت المديرة بحماس: «هو مثالي لك».

وأكملت: «سوف يسر المصمم كثيراً. أما الآن، فسوف نهتم بالأشياء الأخرى، سوف تحتاجين إلى...».

مضت نصف ساعة أخرى قبل أن تعلن المديرة أنها راضية تماماً. قدمت لجودي بذلة ذات خطوط منحنية، يمكن ارتداؤها في المساء أو خلال النهار، بالإضافة إلى مجموعة من القمصان تتناسب معها، وسروالين رائعين، وسترة صيفية مع تنورة ملائمة، وفساتين حريرية، بالإضافة إلى الأحذية وحقائب اليد، وما إلى ذلك من «الأغراض اليومية»، كما سمّتها المديرة. الأمر الوحيد الذي مكنها من تلطيف إحساسها بالذنب بفعل استهلاكها الوافر هذا هو إصرارها على أن تجعل لورنزو يفي بوعده، ويتبرع بمبلغ مماثل لثمن ثيابها للأعمال الخيرية.

أخيراً بدأت جودي تشعر بالتعب، لذا شعرت بالارتياح حين فتح باب الغرفة الخاصة وظهر لورنزو.

سألها: «هل حصلت على كل ما تريدينه؟».

هزت جودي رأسها إلى الأمام والخلف.

شكر لورنزو المديرة، التي وعدت بالاهتمام بالثياب التي تتطلب بعض التعديل، كما تعهدت بأن يتم نقلها إلى الشقة بعد ظهر اليوم التالي. بعدئذٍ رافق لورنزو جودي إلى الشارع الذي صار مظلماً.

سألها: «هل أنتِ جائعة؟».

اعترفت جودي: «كثيراً».

- ثمة مطعم لا يبعد كثيراً من هنا، يقدمون فيه طعاماً محلياً لذيذاً وبسيطاً.

يقع المطعم على انحدار طريق ضيقة. طاولاته منتشرة على الرصيف. كان على لورنزو وجودي أن يشقا طريقهما نحو إحدى الطاولات الشاغرة.

سألها لورنزو حالما جلسا وجلب النادل لهما قائمتي الطعام: «هل تودين أن أختار لك أنا شيئاً ما؟».

التمست جودي قائلة: «نعم، من فضلك. لكن ليكن طعاماً

خفيفاً».

وتابعت: «وإلا فلن أتمكن من النوم».

- حسناً! إذاً لن أنصحك بتناول «أفيتاتي ميتشي» الذي هو عبارة عن طعام تقليدي من اللحوم الباردة. من الأفضل أن تتناولي «بنزيمونيو» وهو مزيج من الخضار الطازجة وزيت الزيتون.

وافقت جودي: «يبدو هذا ممتازاً!».

علق لورنزو قائلاً: «إذا لم تمانعي، يجب أن تجربي اللازانيا المشوية في الفرن. إنها ليست ثقيلة على المعدة، وهي من اختصاص أهل فلورنسا، كما أنها أشهى من أي لازانيا تذوقتها يوماً».

ابتسمت جودي، وأومأت برأسها، ثم سألته: «ماذا ستتناول أنت؟».

- سوف أبدأ باللحوم الباردة، ثم سأتناول «كالاماري إن زيمينو» أي حيوان الحبار المطهو.

بعد أن شرح لها لورنزو مكونات ذلك النوع من الطعام، أشاحت بوجهها مشمئزة.

لاحظت جودي أن زبائن المطعم الآخرين المنتشرين حولهم يتناولون العشاء وهم يتكلمون ويضحكون؛ عائلات بأكملها تتناول الطعام معاً. ساورتها لمحة من مشاعر الغيرة، فعائلتها في الوطن مؤلفة من ابن عمها دايفيد وزوجته أندريا فحسب، وبالرغم من التفاهم الذي يسود بينها وبين دايفيد، إلا أن ثمة فارقاً في السن يبلغ التسع سنوات بينهما. حين توفي والداها، كان دايفيد قد تزوج وعاد والداه -أي عمها وزوجته- إلى كندا، حيث تقطن عمتها.

قال لها لورنزو: «حددت موعداً صباح الغد كي نزور المصرف».

أكمل موضحاً: «فتحت حساباً مصرفياً باسمك، ويجدر بنا توقيع الأوراق الضرورية، كما أن خاتم الخطوبة محفوظ في خزانة في المصرف، بالإضافة إلى قطع مجوهرات أخرى. يجب تنظيف الخاتم

وربما تعديل مقاسه، بالرغم من أن أصابع أمي كانت نحيلة مثل أصابعك».

أثناء هذا الوقت أتى طبقهما الأول، لكن جودي اكتشفت أنها فقدت شهيتها.

استفسر لورنزو: «ما خطبك؟».

أجابته بصراحة: «لست مسرورة لفكرة وضع قطعة ثمينة من المجوهرات في يدي».

أردفت: «لاسيما قطعة تتوارثها العائلة. ماذا لو أضعتها؟».

أجابها لورنزو بصلابة: «أنا رب العائلة، وأنت سوف تصبحين زوجتي. سوف يتوقع الجميع منك أن تضعي خاتم الخطوبة».

أصرت جودي قائلة: «ألا تستطيع أن تأتي بنسخة منه أو أي شيء مشابه؟».

ظهر التجهم على ملامحه، وقال: «إذا كان الأمر يسبب لك القلق، سأفكر بحلّ ما. الآن تناولي طعامك، وإلا سيعتقد كارلو أنك لا تحبين طعامه، وهذا يعتبر إهانة عظيمة لشخص من فلورنسا».

* * *

في صباح اليوم التالي، أعطاها لورنزو المزيد من الوقت لتتمتع بجمال محيطها، فيما مشيا عبر المدينة نحو المصرف. ارتدت جودي بعضاً من الثياب الجديدة، التي أطلقت عليها تسمية «العطلة الرومانية» وهي عبارة عن سروال إيطالي من الدانتيل بلون القشدة، بالإضافة إلى قميص مريحة من اللون نفسه. اضطرت جودي إلى وضع نظارتيها الشمسيتين اتقاء لأشعة الشمس الصباحية الساطعة.

انغمست جودي في تأمل جمال المناظر المحيطة بهما، فلم تنتبه لنظرات الرجال المليئة بالإعجاب، إلا أن لورنزو لم يغفل عنها البتة. خيم ظلام المرارة القديمة على عينيه، وهو يفكر أن النساء ضعيفات جداً أمام مديح الرجال الآخرين وأمام الأنا الذاتية في داخلهن.

حسناً! لِمَ تراه يهتم لعدد الرجال الذين يظهرون إعجابهم بجودي؟ لمَ سيفعل؟ إنه لا يحمل في قلبه أيّ مشاعر تجاهها، وهو بالطبع لن يسمح لنفسه بأن ينشئ أياً منها.

- من هنا.

ذكرها أمر لورنزو المختصر بمدى كرهها لتعجرفه، فما كان بإمكانها إلا أن تشعر بالشفقة تجاه المرأة المسكينة التي سوف تصبح زوجته «الحقيقية».

تمتاز فلورنسا اليوم بأعمالها الفنية، لكنها شهدت أياماً كانت فيها شهرتها تعتمد على سمعة مصارفها، التي يديرها أفراد من عائلة مديتشي الإيطالية. هذا ما تذكرته جودي وهما يمران أمام مصرف لورنزو الذي أخذ شكل الكاتدرائية.

تمت إجراءات معاملات فتح حساب مصرفي لجودي بسرعة. بعدئذٍ تم إرشادهما نزولاً إلى درج رخامي يؤدي إلى غرفة مهيبة ذات أعمدة مذهبة، بمواكبة مرافقين مسلحين. هناك أعطيا مفتاحاً، ثم تم إرشادهما مجدداً إلى غرفة صغيرة مفروشة بعدة كراسٍ وطاولة واحدة. هناك، كان عليهما أن ينتظرا مدير المخزن وأحد المرافقين المسلحين الذي عاد مع خزينة وضعها على الطاولة أمام لورنزو. أخرج هذا الأخير المفتاح، وأدخله في القفل. عندئذٍ فقط تركهما المدير والمرافق وحدهما في الغرفة.

في ذلك الصمت العارم لم يسمع إلا صوت المكيف. فيما حرك لورنزو المفتاح في القفل، اكتشفت جودي أنها تحبس أنفاسها.

رفع لورنزو غطاء الخزنة، فأشاحت جودي بنظرها سريعاً. راح قلبها يعج بمشاعر متناقضة تتعلق بالمجوهرات القديمة الباهظة الثمن. فكرت أنها تحمل تاريخاً أسود ملطخاً بالدم بسبب الأعمال الوحشية التي ارتكبها أولئك الأشخاص الذين لطالما رغبوا في امتلاكها. نظر لورنزو إلى الأسفل نحو العلبة التي فتحت آخر مرة بعد وفاة أمه.

اختلج فيه شعور قوي ليقفل الغطاء بعنف، ويأخذ جودي من يدها، ويخرج باتجاه دفء أشعة الشمس الساطعة. لكنه لا يستطيع القيام بذلك.

إنه ينتمي إلى عائلة مونتسافرو، وهو وريث العائلة الوحيد. أطبق أصابعه حول العلبة المخملية المألوفة التي يتذكرها منذ أيام طفولته.

قال لجودي بعنف، وهو يغلق صندوق الخزنة ويقفله قبل أن يفتح علبة الخاتم: «ها هو».

أضاف ساخراً، فيما حدقت جودي بعدم تصديق إلى حجر الزمرد المستطيل الضخم المحاط بماسات بيضاء لماعة: «ثمة أسطورة تقول إنه حين تكون المرأة طاهرة وتضع هذا الخاتم، فإن الحجر يلمع بوضوح تام. لطالما زعمت أمي أن الحجر كان ضبابياً في الأصل».

اعترضت جودي: «لا يمكنني وضع الخاتم».

وتابعت وهي تهز رأسها يميناً ويساراً: «أخاف أن أفقده. لا يمكنني أن أشعر بالأمان، إلا إذا تبعني مرافق مسلح. لابد أنه قيم...».

عبس لورنزو وهو يلاحظ أن ما ظهر في صوتها ليس الحماس الرهيب لمجرد التفكير في قيمة الخاتم، إنما الاشمئزاز والصدمة. هل هناك امرأة على وجه الأرض تشعر بالاشمئزاز بدلاً من الحماس حين تفكر بوضع خاتم ثمين من الذهب؟

ذلك النوع من النساء بعيد كل البعد عن خبرته الخاصة بالنساء، فهو لم يتخيل قط أن امرأة كهذه خلقت بعد.

أجاب لورنزو ببرودة: «دعينا نرى إن كان يلائم قياس إصبعك قبل المجادلة بشأن وضعه أم لا».

استطاعت جودي أن تشعر بارتجاف يدها حين انتشل لورنزو رسغها، ثم زحلق الخاتم في إصبعها. أشعرها ثقله الكبير بعدم الارتياح، فعبست، ثم سارعت إلى نزعه فوراً.

- لا... دعيه!

كان لنبرة لورنزو المتعجرفة الحازمة أثر الجمود على جودي.

تعمق عبوسه، فيما تفحص الخاتم، وهو يرفع يدها كي يستطيع أن ينعم النظر إليه أكثر. سألته جودي مشككة: «ما الأمر؟».

أمرها لورنزو: «انظري إليه، واخبريني بما ترينه».

فعلت جودي ذلك مترددة، ثم قالت له مرتبكة: «لا أرى شيئاً».

ولا هو أيضاً. اعترف لورنزو. اختفى من الخاتم كل الضباب الذي كان يزعج أمه كثيراً حسبما يتذكر. أهي ضربة حظ، أم اختلاف في التفاعلات الكيمائية بين جلد امرأة وأخرى؟ لابد من وجود سبب منطقي للوضوح الذي شهده في الزمرد حين وضعته جودي.

بدت جودي جاهلة تماماً للمشاعر المتناقضة التي كان لورنزو يكبحها، فانتزعت الخاتم من يدها، وأعطته إياه مجدداً.

أخبرته بإصرار: «لقد عنيت ما قلته».

أعلمها لورنزو: «سوف نرى. لكن بالطبع عليك وضعه يوم الأحد، حين نحضر إلى الكنيسة للقراءة الأولى عن إعلان زواجنا».

عرفت جودي أن أحداً ما سوف يشعر بالغيرة من خاتم خطوبتها، هذا ما فكرت به بعد نصف ساعة، وبعد أن غادرا المصرف. إنها لويس! استطاعت جودي أن تتخيل ردّ فعلها جيداً عندما تظهر في زفاف جون وهي تضع هذا الخاتم!

حاولت أن ترسم صوراً مرضية عن لحظة انتصارها، لكنها لم تشعر بذلك الرضى الذي أرادته. حسناً! هذا هو السبب الرئيسي الذي دفعها إلى خوض هذه المغامرة المليئة بالخداع والتملق، معرضة نفسها للتنمر والتهديد... وللضعف العاطفي أمام لورنزو. أليس كذلك؟

٩ - رفض جديد

على الأرجح أنها ستعيش أياماً كثيرة وحدها خلال الأشهر الاثني عشر المقبلة، وأفضل ما تقوم به هو اكتشاف المدينة الرائعة. هذا ما فكرت به جودي بسرور عندما غادرت قصر مديتشي بتردد، وتوجهت إلى قصر بيازا سينيورا.

هذا النهار مخصص لها بأكمله، بما أن لورنزو أعلن مسبقاً أنه منشغل ببعض الأعمال، وأنه سوف يتأخر إلى ما بعد الظهر. رؤية كل ثنائي يتمشى بجانبها جعلتها تتذكر لورنزو المتعجرف المستبد، لذا فالأمر ليس شخصياً مطلقاً. لمَ يكون كذلك؟ فقد عزمت على ألا تفقد السيطرة على مشاعرها مع أي رجل آخر مجدداً. وحتى لو لم تكن قد عقدت العزم على ذلك، فهي ليست غبية لتقع في حب رجل مثل لورنزو.

آه! لا. ربما دفء أشعة شمس الصيف وتأثير مدينة فلورنسا نفسها على مشاعرها هما اللذان يمدانها بإحساس الحزن الداخلي. بالطبع، لو كان لورنزو برفقتها الآن، لتمكن من تزويدها بمعلومات عن المدينة أكثر من أي دليل سياحي. بإصرار شديد، ذكرت جودي نفسها بذلك التوتر الذي يزحف إلى حديثهما كلما تحدثا معاً، الأمر الذي يدفعها إلى الجنون ويسبب ارتفاعاً مفاجئاً لمعدل الأدرينالين في دمها. لماذا تستجيب بهذه الطريقة لحضوره؟ لماذا؟ أتراها تترقب عناق لورنزو مجدداً؟ أخذ فكرها ينحرف إلى مسارات خطيرة، فحذرت جودي نفسها كي تكف عن هذا التفكير بسرعة.

حاولت أن تركز على الساحة ومنحوتاتها الشهيرة، متوقفة للحظات كي تتفحص كتاب الدليل الذي اشترته منذ وقت قريب. أثناء تواجدها هنا يمكنها أن تتعلم اللغة الإيطالية، وتستفيد من سنة زواجها لتضيفها إلى سيرتها الذاتية في المستقبل، ما سيشغل أفكارها بما هو أفضل بكثير من ذلك التوق الخطير الذي أخذ يتسلل إليها بطريقة مزعجة جداً.

كانت المدينة تعج بالسياح، وحين وصلت إلى أفيزي بدأت تشعر بالتعب والعطش. قررت أن تغادر المكان وتكتشف بالازو فيتشيو، آملة أن تعود في وقت لاحق. تذكرت أنها رأت مقهى في الساحة بالقرب من الشقة، ولن يتطلب منها الكثير من الوقت أن تمشي إلى هناك. عندما وصلت، كان المقهى الصغير يعجّ أيضاً بالناس، فظنت في البدء أنها لن تتمكن من إيجاد طاولة شاغرة. لكنها أخيراً، وجدت واحدة، وجلست مطلقة تنهيدة ارتياح.

بعد نصف ساعة، فيما كانت تنهي كوب قهوتها الثاني، تقدم إلى طاولتها شاب إيطالي وسيم.

اعتذر وهو يبتسم ابتسامة إطراء: «المعذرة، سيدتي».

وأكمل: «هل يمكنني مشاركتك الطاولة نفسها؟ المقهى يعج بالناس و...».

بدا الشاب وسيماً جداً، ومن الواضح أنه خبير بمعرفة السائحات الوحيدات. هذا ما اعتقدته جودي، فيما نظرت إليه في المقابل.

في الجهة الأخرى للساحة، كان لورنزو يراقب اللوحة القديمة أمامه. من الشائع أن يقضي الشباب في فلورنسا أشهر الصيف وهم يغازلون السائحات الساذجات. حتى إن ذلك الأمر بات شائعاً، وبات الانتقال من التعارف المتحفظ والتنزه عبر المدينة، إلى تبادل العناق وإقامة العلاقات الحميمة في فندق السائحة طوراً وفي حديقة الحبيب تارة أخرى أمراً شائعاً أيضاً. لا شك أن جودي تتمنى لو أنها تعوض

عن سنوات مراهقتها الضائعة، لذا فإنها سوف تقع من دون شك بين أيدي هذا الشاب الفلورنسي كحبة دراق ناضجة، حتى لو لم تكن مستعدة للاعتراف بذلك.

استطاع لورنزو أن يرى مدى تفاعل جودي مع معجبها، وهي تميل برأسها إلى الوراء كي تنظر إليه، مبتسمة له. كم من المرات رأى فيها لورنزو أمه تمنّ بتلك الابتسامة ذاتها على حبيبها، حين استخدمت لورنزو وهو صبي صغير لتموه تلك اللقاءات الحميمة؟ كان لورنزو يبتسم بصدق وسذاجة لذلك الرجل الذي قررت أمه خيانة والده بسببه. حسناً! لن تحظى جودي بفرصة تمثيل دور أمه، لأن زواجهما سيبقى عملياً وشكلياً. أخذ لورنزو يشق طريقه إلى المقهى...

قالت جودي للشاب المنتظر: «نعم، أرجو منك الجلوس».

ثم تابعت: «أنا على وشك المغادرة».

اقترح الشاب وهو ينحني إلى الأمام باتجاهها، فيما دنت يده من ذراعها: «لا! لمَ لا تبقين، وتسمحين لي أن أقدم لك كوباً من القهوة؟».

وقفت جودي على الفور، وتراجعت إلى الخلف مبتعدة عنه، وهي تصافح يده، فيما رفضت بلطف قائلة: «لا، شكراً لك».

استطاعت جودي أن ترى الارتباك وعدم التصديق في عينيه، فسيطرت على نفسها لئلا تنفجر ضحكاً. بدا الشاب وسيماً جداً بالفعل، وهو من دون شك معتاد على أن تلاقي عروضاته القبول أكثر من الرفض.

توقف لورنزو فجأة حين رأى الطريقة التي نهضت فيها جودي عن الطاولة. هز رأسه يميناً ويساراً، فقد ساهمت لغة جسدها في تبيان مشاعرها بوضوح، واستطاع أن يلاحظ من تدلي كتفي الشاب أنه أدرك تماماً -كما فعل لورنزو- أنه خُذل.

أخذت جودي فاتورتها إلى صندوق الدفع، وبعد دفع ما ترتب

عليها من مال، توجهت مجدداً إلى شقة لورنزو. أعاد لورنزو التفكير بهذه الحادثة البسيطة في رأسه، وهو يبدو متجهماً كعادته. حاول أن يتخيل أمه أو كاترينا تفعلان ما فعلته جودي لتوها، وأدرك أن أياً منهما ما كانت ستنسحب من الوضع كما فعلت جودي. هل جودي مختلفة عنهما؟ أهي حقاً تلك المرأة النادرة التي لا تقودها أطماعها الذاتية وغرورها، والتي لا تحتاج إلى إعجاب الرجال؟

عندما مرّ بجانب المقهى، كان الشاب يحدق إلى سائحة أخرى، قدرت مساعيه أكثر مما فعلت جودي. بدا ذلك واضحاً من خلال الابتسامة التي بادلته إياها.

صار من الصعب على جودي أن تدخل الشقة من دون أن تقف أمام لوحات «أطفال الشجاعة»، وكلما فعلت، كانت ترى أشياء جديدة في الأعمال الفنية لم ترها من قبل. على طاولة منخفضة تحت الرسومات، رأت ألبوماً من الصور مصنوعاً من الجلد الثمين، حيث كتب لورنزو تفاصيل عن كل طفل علقت رسمته في صالة العرض. كانت جودي تتفحصها حين دخل لورنزو إلى المكان.

سألها: «هل تعبت من نزهة اكتشاف المناظر؟».

اعترفت جودي بكآبة: «تعبت رجلاي، ففكرت أن أعود وأقرأ بدلاً من ذلك. اشتريت الكثير من الكتب التي تتحدث عن مدينة فلورنسا. بعضها تتضمن وصفاً لها بلغات مختلفة، لكنني أفكر في تعلم اللغة الإيطالية خلال الوقت الذي سأقضيه هنا».

علق لورنزو قائلاً: «بما أننا سنكون دائمي التنقل بين فلورنسا والكاستيلو، ليس من المجدي أن تنخرطي في مدرسة لتعلم اللغات، إذا كان هذا ما تفكرين به، لكن يمكننا أن نستخدم مدرساً خاصاً إذا أردت».

بعدئذٍ أضاف: «هل تناولت العشاء؟».

هزت جودي رأسها مجيبة بالنفي، ثم قالت: «لا. قصدت أحد

المقاهي لأتناول كوباً من القهوة في قلب الساحة...».

توقفت فجأة عن الكلام، وفركت أنفها.

- ألم يعجبك المقهى؟

- القهوة شهية، لكنني صادفت أحد الرجال الخبيرين في المغازلة... أفترض أن هذه عاقبة التجول وحيدة.

- بعض النساء يستمتعن بجذب الانتباه إليهن.

أطبقت جودي الألبوم، ووقفت، ثم أجابت: «لكنني لم أفعل».

استطاع لورنزو أن يلاحظ أنها عنت ما قالته.

- لمَ لا أطلب من أسانتا أن تعد لنا العشاء وتجلبه إلى الشرفة؟ يمكنك أن تقرأي لي دليل السائح الذي بحوزتك باللغة الإيطالية إذا شئت.

حدقت جودي إليه بدهشة، وكان على لورنزو أن يعترف أنه اندهش بالقدر نفسه من اقتراحه هذا، فقد نوى أن يمضي ساعات بعد الظهر منكباً على العمل، لا أن يضطلع بمهمة المدرس الخاص لجودي.

* * *

أدركت جودي أنها فعلاً لا تريد القيام بذلك، وقفت مترددة أمام مدخل الكنيسة حيث سيتم إعلان زواجهما للمرة الأولى في ذلك الصباح.

أحسّ لورنزو بترددها، فدنا منها، وأمسك ذراعها، فلم يبق أمامها خيار آخر غير التقدم معه. كان عليها أن تختار ما سوف تلبسه. وقع اختيارها على تنورة سوداء بسيطة من الكتان وقميص قصيرة الكمين بلون الشوكولا، زينتها بوشاح حريري متعدد الألوان وجدته مع ثيابها الجديدة، وهو عبارة عن هدية صغيرة من المتجر. فكرت أنه إذا اقتضى الأمر يمكنها أن تغطي رأسها بذلك الوشاح.

سُرت جودي لاختيارها تلك الثياب، لاسيما حين رأت لورنزو

متأنقاً ببذلة داكنة، تكملها قميص بيضاء بالإضافة إلى ربطة عنق أنيقة.

ها هي الآن تبدو عاجزة عن منع نفسها من النظر إلى لورنزو بقلق، وهي تسير معه إلى عالم غير مألوف لها تماماً. أدركت كم يبدو خطيراً ومتعجرفاً.

لمع حجر الزمرد الكبير في إصبعها بلونه الأخضر الساطع تحت أشعة الشمس، فسمعت شهقة صادرة عن أحدهم في ذلك الحشد الصغير الذي كان يتوافد. لم تدرِ جودي أكانت تلك شهقة دهشة وإعجاب أم شهقة صدمة. على الرغم من عدم تفوه أحدهم بكلمة، بدا واضحاً من خلال النظرات المتبادلة أن زوار الكنيسة الآخرين يعرفون لورنزو، واستطاعت جودي أن تشعر بثقل توقعاتهم تحطّ عليها كثقل خاتم الخطوبة.

كان الناس يدخلون إلى بهو الكنيسة الداكن، ويأخذون أماكنهم على المقاعد الخشبية، ثم يركعون فوراً بغية الدعاء. توجهت جودي نحو المقعد الأقرب، لتجد لورنزو يهز رأسه ويمر أمامها. أصدرت أقدامهما صدى على الأرض الحجرية الباردة. أمامها على المذبح كان الكاهن راكعاً، ورأسه منحنياً، وهو يتلو الأدعية، فيما تصاعد عبق البخور شاقاً طريقه في وميض الضوء الذي يفيض من النوافذ الزجاجية الضيقة الملونة.

وصلت جودي ولورنزو إلى المقعد الخشبي الأخير. اتسعت عينا جودي قليلاً حين رأت شعار العائلة محفوراً على الخشب. أحنت رأسها بعدم ارتياح لتتلو الصلاة، فصلّت لوالديها ولدايفيد ولأندريا ولأصدقائها، ولكل المحتاجين. باندهاش كبير، وجدت نفسها تصلي بخشوع ليتصالح لورنزو مع ماضيه بطريقة ما.

بالرغم من معرفتها لسبب وجودهما في الكنيسة، شعرت أنها ليست مستعدة للتأثر بسماع إعلان زواجهما أو بحدة مشاعرها العاطفية واضطرابها. أصبحت رؤيتها ضبابية، فتسارعت إلى ذهنها صور غير

مرتبطة ببعضها. تخيلت والديها في نهار مشمس، وهما يضحكان، فيما كانوا يتمشون معاً؛ تخيلت كذلك صدمة وفاتهما عليها، ثم وجهي عمتها وزوجها الكئيبين، وهما يكافحان كي يفسرا لها ما حدث، ويشرحا لها أنها قد تفقد رجلها؛ تخيلت المرة الأولى التي وقفت على رجلها بشكل سوي بعد الحادث، ومواعدتها مع جون لأول مرة، ووقوفها بطريقة رشيقة بجانب طاولتها في المكتب الصغير حيث تعمل في شركة أبيه؛ والمرة الأولى التي عانقها فيها، وشعورها بالاحباط لأنها لم تشعر بالحماس أكثر لذلك العناق.

من المفترض أن يكون هذا الاحتفال الصغير أكثر من مجرد تحقيق لكبرياء لورنزو أو لكبريائها، وأكثر من مجرد كسب ممتلكات مادية. من المفترض أن تقف في الكنيسة، فيما السعادة تغمرها، وكذلك الأمل بمشاركة الحب مع عريسها في الأيام الآتية بدلاً من شعورها بالذنب والدناءة.

راح الكاهن يتقدم نحوهما، وهو يبتسم ويبارك لهما بدفءٍ وحرارة زادا من قلة ارتياح جودي. بدا طويل القامة، فيما ظهرت عليه أمارات الرجولة المحضة المترافقة مع تلك النظرة الثابتة.

قال لجودي بلطافة وبلغة إنكليزية ممتازة: «إن كان هناك أي مسألة تودين مناقشتها معي، يا صغيرتي، فأنا تحت تصرفك».

أخبره لورنزو ببرودة: «بسبب وصية جدتي اضطررنا إلى تغيير خطة زواجنا في إنكلترا، والاسراع بإتمامه».

ثم أضاف: «ونحن ممتنان لك لتعاونك».

أحنى الكاهن رأسه برزانة، فيما وضع لورنزو يده على ظهر جودي، ما جعلها تشعر أن هذه الحركة التقليدية تعبر عن امتلاك واضح. فيما هو يواكبها، استطاعت أن تحسّ بدفء يده فوق قميصها، وانتشر هذا الدفء في كيانها بأكمله. فكرة عنيدة متصلبة تسللت إلى ذهنها كتسلل عبق البخور عبر النور، وهي أنهما لو كانا

يحبان بعضهما فعلاً، لرفعت نظرها إليه وابتسمت له، ولقامت يده بتمسيد ظهرها في وعد صامت، فيما يقابلها لورنزو بابتسامة مماثلة. لكنهما ليسا مغرمين ببعضهما فعلاً، وهي لا تتمنى مطلقاً أن يكونا كذلك!

- ليتنا لا نتزوج في الكنيسة!

هذا ما قالته جودي بعدم ارتياح للورنزو عندما عادا إلى بالازو. أكملت: «أشعرني ذلك بالذنب، لاسيما حين صلى الأب إغناسياس لنا ولزواجنا، مع العلم أنه لن يكون زواجاً حقيقياً».

- أتعنين أنه لن يتضمن ممارسة العلاقة الزوجية؟

- لا!

أنكرت جودي على الفور، لكنها تمكنت أن ترى من خلال تعبيره أنه لم يصدقها. أصرت قائلة: «الزواج الحقيقي هو أكثر من مجرد علاقات جسدية».

- لكن العلاقة الجسدية جزء هام منه، وأنت- كما نعلم كلانا- فضولية إلى أبعد الحدود لتختبري شعوراً كهذا.

- أنت لا تكف عن قول هذا، لكنه غير صحيح.

قال لها لورنزو بلطف: «شفتاك تقولان شيئاً، لكن عينيك تقولان شيئاً آخر».

قد تكون جودي عذراء، لكنها تستطيع أن تدرك التوتر المتزايد بينهما، وهذا ما أحسته مرتجفة.

أضاف لورنزو فجأة: «علي أن أرجع إلى حصن كاستيلو لبضعة أيام».

وأكمل: «من الأسهل أن أتركك في فلورنسا، لكن بما أننا مخطوبان وزواجنا وشيك، فمن الأفضل أن ترافقيني. متى ستجربين فستان الزفاف مرة ثانية؟».

- نهار الخميس.

- جيد! سوف نعود قبل ذلك الموعد.

* * *

نظرت جودي إلى خاتم الزمرد الذي أزالته من إصبعها للتو، ووضعته في علبته قبل الخلود إلى النوم.

الشقة مزودة بإجراس إنذار لحمايتها من اللصوص. عرفت ذلك من لورنزو، لكنها لم ترتح لوجود الخاتم في غرفتها في تلك الليلة، بل تمنت لو أنه في عهدة لورنزو.

أقفلت العلبة، وأسرعت بالخروج من غرفتها، ثم سارت عبر الممر مترددة قليلاً قبل أن تطرق باب غرفة نوم لورنزو.

- أجل!

رده المختصر دعاها إلى فتح الباب والتقدم عدة خطوات في الغرفة، وهي تقول شارحة: «جلبت لك الخاتم، أردت أن...».

تلاشى صوتها شيئاً فشيئاً ما إن انزلقت نظراتها عاجزة على بشرة صدره الذهبية الناعمة التي ظهرت من خلال قميصه التي كان يفك أزرارها.

- ماذا تريدين؟

سألها لورنزو بلطف، وهو يمر من أمامها كي يقفل الباب قبل أن يخلع قميصه بالكامل، فيما لمعت ساعة يده الذهبية تحت ضوء المصباح.

جف فم جودي، فرطبت شفتيها بطرف لسانها، غير قادرة على التركيز جيداً على الإجابة، إذ بدت حواسها كلها مفتونة به. كيف لا، ولورنزو رجل فاتن جذاب.

إن كان مجرد رؤية كتفيه وصدره المليء بالعضلات الصلبة مؤثرة على هذا النحو، فكيف بها لو... أطلقت جودي نفساً عميقاً مرتجفاً حالما أحست بصمت بالألم الذي أخذ يبسط أطرافه داخلها.

- الخاتم.

استطاعت أن تقول له ذلك بنبرة مرتجفة، وهي تمد يدها التي تحمل العلبة الصغيرة. أكملت: «أريد منك أن تأخذه».

- هل تعنين ذلك فعلاً، أم أنك تحاولين رسم صورة مثالية لذاتك؟ أهي طريقة جديدة في الإغواء ابتكرتها بنفسك؟ أليس هدفك إرضاء فضولك والحصول على عناق يرضي مشاعرك؟

داعبت حواسها ارتجافة أثارتها كلماته التي لا تخلو من الحقيقة. أتراها كذلك حقاً؟ أهذا هو السبب الخفي الذي دعاها إلى التوجه إلى غرفته؟ ألأنها أرادت... تمنت...؟

راقبها لورنزو فيما عكست تعابيرها ما تشعر به فعلاً. بدأت جودي تغوص في أفكارها أعمق فأعمق، ما دعاها إلى التفكير في بعض الأشياء التي لم ترغب حقاً في الانشغال بها. ربما يحسن لورنزو إخفاء مشاعره أكثر منها، لكن ذلك لا يعني أنه يحسن السيطرة عليها تماماً.

اعترضت جودي متأخرة: «لم «ت إلى هنا بسبب ذلك، لكنني لا أريد أن أكون أنا المسؤولة عن الخاتم».

هل سمع لورنزو في صوتها كما سمعت هي تلك النبرة المشككة لدافعها اللاواعي؟

علق لورنزو بطريقة فظة: «لماذا؟ ألأنك تخشين أن تشعري بالطمع، فتبنين الآمال على ما ستحصلين عليه لاحقاً؟».

بعد قليل أردف: «يسيطر عليك الفضول كغيرك من النساء. اعترفي بذلك! تتآكلك رغبتك بالحصول على المزيد من الثروة، فتتركك الليل بطوله مستيقظة، متسائلة... توافقة».

أجابت جودي بكلمة «لا» لكنها عرفت تماماً أنها كانت لتجيب «بنعم» لو أن الأمر يتعلق بما تشعر به نحوه.

قالت بنبرة عنيفة، وهي تحاول أن تتشبث بشيء من الحقيقة: «لا أريد أي شيء منك».

سألها لورنزو ساخراً: «ألا تريدين عناقاً أيضاً؟».

وأكمل بالنبرة الساخرة نفسها: «أنت تريدين كل ما يمكنني تقديمه لك، وما حرمك منه الوقت الذي قضيته في المستشفى. تريدين أن تعرفي الشعور الذي يخالجك حين تكونين بين ذراعي. يمكنك أن تنكري ذلك، لكن عينيك تقران بشيء مختلف تماماً».

- لا!

كررت جودي رفضها، لكنها راحت تنظر عاجزة إلى عينيه. ظلت واقفة هناك بدون أن تحرك ساكناً، فيما تقدم لورنزو نحوها، ومرر يديه ببطء على طول ذراعيها، بدءاً من رسغيها حتى كتفيها الاثنتين، فأصابتها ارتجافة هزت كيانها، وتركت لديها شعوراً بالترقب والتوقع للمسته التالية. قربها لورنزو إليه أكثر إلى أن استحوذت عليها فعلاً رائحة عطره الأصلية. ألقت جودي رأسها على كتفه وهي تشعر بالانهاك، فالتظاهر بالسعادة لساعات وحضور مراسم الإعلان الأول للزواج في الكنيسة استهلكا طاقتها، حتى إنها شعرت بالحاجة إلى إسناد رأسها على كتف قوية، علها تستمد منها بعض القوة.

أهذا ما يحدث عندما تكون المرأة عديمة الخبرة؟

تساءل لورنزو وهو يكافح ليسيطر على توقه العنيف المفاجئ إليها. ذلك التوق المتوحش الذي تملكه كي يحتضنها بين ذراعيه ويعانقها. لماذا عليه أن يكبح نفسه؟ لماذا عليه أن يدعها تخرج وتبتعد وهو يشعر أنها لا تنفر من عناقه، بل تتوق إليه حتى لو أنكرت ذلك؟

نظر لورنزو إليها، واستطاع أن يرى ملامح الشوق في عينيها قبل أن تحاول إخفاءها عنه. أخذها بين ذراعيه وعانقها عناقاً محموماً أودعه كل ما لديه من شوق وشغف. ارتفعت يداها من دون إرادتها لتطوقا كتفيه، فيما شدها لورنزو نحوه أكثر ليزداد عناقه عمقاً.

تساءلت جودي من ضبابية أفكارها لما يشعرها عناق لورنزو لها بهذه الطريقة بالقوة، وبالأنوثة الأبدية ويربطها نوعاً ما بقصة آدم

وحواء؟

منذ بداية الكون، المرأة هي التي أغوت الرجل، فسيطرت على مشاعره وعواطفه، وهي التي جعلت قوته الجبارة تلين لتصبح طوع بنانها. أغوتها رغبة طفيفة كي تشده إليها ليتابعا عناقهما الشغوف. لكن لا! لن تسمح لنفسها بالوقوع في فخ العواطف الخطير.

- لا!

رفضها المفاجئ سبب الصدمة للورنزو، فيما أرسل ذبذبات مفاجئة في جسمها صدمتها هي نفسها. أظلم نظراتها الارتباك فيما نظرت إليه. إن سمحت لنفسها الآن بالاستسلام لرغبته بعناقها فلن تستطيع بعدئذٍ أن تحافظ على حدود واضحة بينهما.

من جهته، أدرك لورنزو أن انجذابه إليها يفوق حدود سلامته الشخصية. إن سمح لنفسه بالاستمرار في عناقها، فلن يعرد قادراً على منع نفسه من القيام بما لا تحمد عقباه. مع ذلك سألها: «لمَ لا؟».

أجابته جودي باختصار: «لا يمكننا أن نتصرف كأننا خطيبين حقيقيين».

وافقها لورنزو بنبرة فظة: «أنت على حق. على أي حال، أنا لا أثق بالنساء أساساً، ولا أنوي مطلقاً أن أقع في شرك علاقة تجبرني في ما بعد على تحمل مسؤولية لا أرغب في تحملها».

- ألم يكن من الأفضل لو فكرت بهذا مسبقاً؟

سألته جودي غاضبة، فيما ابتعدت عنه متراجعة بسرعة هوجاء. بالطبع، هي لا تريده أن يحس بمدى خجلها وبالألم العميق الذي أصابها. يا لها من غبية إذ اعتقدت أنها تستطيع الوثوق به بسبب انجذابه إليها. أدركت أنها في هذه العلاقة بينهما لا يمكنها أن تثق بأي شيء. هذا ما أدركته بمرارة، فيما هرعت خارجة من الباب، وهي تنشد الأمان في سكون غرفة نومها.

١٠ ـ كشف المستور

تجمدت جودي حين سمعت الصوت الذي راحت تنتظر سماعه طوال الليل. صارت طقطقة باب غرفة نوم لورنزو مألوفة لديها، وهو يفتحه ببطء، ثم يقفله مجدداً بالسرية ذاتها.

في غضون هذين اليومين، جودي ولورنزو سوف يتزوجان، لكن جودي لاحظت خروجه من غرفة نومه في وقت متأخر من الليل لأربع مرات تقريباً. لاحظت أنه لا يعود إليها قبل ساعة على الأقل. كانت كاترينا لاتزال تعيش في الكاستيلو في جناح جدة لورنزو المتوفاة. إذا كانت كاترينا صادقة في تهديدها، وتحاول أن ترجع لورنزو إلى سريرها، فأن لجودي الحق في معرفة ذلك، حتى لو كانت مجرد زوجة مؤقتة.

نهضت من السرير. لبست رداء فوق قميص النوم، وانتعلت حذاء ذا نعلين ناعمين، وعقدت العزم على أن تواجه لورنزو بشكوكها؛ أن تكون زوجة بموجب صفقة متبادلة يختلف تماماً عن كونها زوجة غير مرغوب فيها لرجل على علاقة بعشيقته. فالحالة الأخيرة حالة مهينة، وهي لن تدع لورنزو يورطها فيها. هرعت إلى منبسط الدرج في الأعلى، وفيما أخفضت نظرها بقلق لتراهما، رأت ظل لورنزو يتحرك بسرعة عبر الممر في الأسفل. عزمت على اللحاق به، متسائلة عن سبب عدم اختياره للممر العلوي الذي يؤدي إلى جناح كاترينا.

ثمة العديد من الممرات التي تؤدي إلى الرواق الذي يصل الجزء القديم من حصن كاستيلو بالجناح الجديد. أي طريق سلكه لورنزو؟

رأت جودي ضوءاً يشع على الدرج. شعرت بتوتر شديد وهي تنزل خلف لورنزو. ذلك الدرج يقع تحت غرفة كاترينا مباشرة، فلربما...

أطلقت صرخة من جراء صدمتها، حين التفت يد من خلف الظلال حول معصمها.

- بحق السماء! ماذا تفعلين هنا؟

- لورنزو؟!

لابد أنه أدرك أنها تلاحقه، فانتظرها هناك. أجابته بصراحة، رافعة ذقنها: «أردت أن أعرف إلى أين أنت ذاهب؟ فهذه هي المرة الرابعة التي أسمعك فيها تغادر غرفتك في وقت متأخر من الليل».

- هل تتجسسين علي؟

نظرة عينيه الضيقتين جعلتها تشعر بعدم الارتياح المطلق، لكنها لن تدعه يعرف بذلك.

- إذا كنت سأتزوج بك، فيحق لي أن أعرف إن كنت على علاقة مع كاترينا.

- ماذا؟

أخبرته جودي بعنف: «لن أتزوج بك إن كنت مستمراً على علاقتك بها».

- أتعنين أنك تتجسسين علي لأنك تظنين أنني ذاهب إلى غرفة نوم كاترينا؟

نبرة لورنزو الحانقة أظهرت تصرفها وكأنه نابع من فورة غضبها. كيف يمكنها أن تقول له إن تصرفه الذي يشبه كثيراً تصرف جون معها، لم يضاعف فحسب من عدم ثقتها بنفسها، بل دعاها أيضاً إلى التساؤل، ماذا إذا كان لورنزو، مثل جون، ينوي إرضاء نزواته مع امرأة أخرى؟

قالت له بعناد: «لا يمكنك أن تنكر أنكما كنتما عشيقين».

وافق لورنزو باختصار: «نعم، كنا كذلك. لكن ذلك حصل قبل

عشرين عاماً، حين كنت صبياً يافعاً».

- تقول كاترينا إنك مازلت تريدها.

أجابها بقسوة: «يمكنها أن تدّعي ذلك، لكن هذا ليس صحيحاً بالطبع».

كانت أصابعه ملتفة حول معصمها، فجأة أطلق لورنزو شتيمة في سرّه، قائلاً بتجهم: «هل تريدين أن تعرفي إلى أين أذهب؟ حسناً! اتبعيني».

راح يمشي بخطى سريعة جداً عبر الممر الضيق الأشبه بنفق، وكان على جودي أن تركض كي تلحق به. فاحت رائحة الرطوبة في ذلك الممر، واستطاعت جودي أن ترى آثار تلك الرطوبة على القناطر. ارتجفت قليلاً، ثم أطلقت شهقة ما إن وصلا إلى باب من السنديان الثقيل، وقال لها لورنزو بنبرة خالية من العاطفة: «هذا الممر أمامنا عرف باسم «الطريق السرمدي» لأنه يؤدي إلى زنزانات الكاستيلو وغرف التعذيب».

- غرف التعذيب؟

هز لورنزو كتفيه بعدم اكتراث، فيما فكّ القفل وفتح باب السنديان الكبير، ثم قال: «كانت هذه الغرف جزءاً مهماً من النضال».

قالت جودي: «في العصور الوسطى ربما... لكن...».

قاطعها لورنزو، بنبرة بغيضة، دفعتها إلى الارتجاف: «لا، ليس في العصور الوسطى تحديداً».

خلف الباب، رأت جودي غرفة كبيرة أشبه بالكهف يعلوها سقف منخفض مقوس، كما رأت رفوفاً فارغة معلقة على جهة واحدة من الحائط، فيما قطرات الماء المتجمعة تقطر من السقف على الأرض.

أخبرها لورنزو بعد أن القى نظرة قلقة باتجاهها: «السقف بحالة جيدة. بالرغم من الرطوبة، إلا أنها كانت ذات نفع كبير في بعض الأحيان».

استفسرت جودي بحدة: «أتعني بغية تعذيب السجناء أكثر؟».

- سجن زوج جدتي الأول هنا لفترة من الزمن.

أرسل تعليق لورنزو غير المتوقع ارتعاشة قوية في كيان جودي.

- كان مناهضاً لموسوليني، وارتكب خطأ في مخالفته له، فسُجن وعُذّب في منزله. لم تتمكن جدتي من تخطي هذه المأساة. وبالرغم من أنها تزوجت ثانية بعد وفاته، إلا أن قلبها لم يكن معنياً في الحقيقة بذلك الزواج. غالباً ما أخبرتني أنها لو وُضعت أمام اختيار حرّ، لفضلت أن تعيش حياة تأمل في دير ما، لكنها كانت قد وعدت زوجها بأن تؤمن لمنزله وريثاً. تم تنظيم زواجها بجدّي من قبل زوجها الأول، فيما كان يحتضر جراء التعذيب الجسدي الذي أنزله به سجانوه. قام هؤلاء بسرقة الكثير من الأعمال الفنية من الكاستيلو، كما أفرغوا الأقبية من المؤن والذخائر.

أضاف لورنزو بتجهم، وهو يهز رأسه باتجاه الرفوف الفارغة: «بقيت ثروة واحدة لم يتمكنوا من سرقتها».

أجالت جودي بنظرها حول الغرفة الأرضية الباردة المظلمة الكئيبة على عجل.

هز لورنزو رأسه بالنفي، ثم قال: «لا! تعالي معي».

أرشدها إلى باب صغير فتح باتجاه مطلع درج آخر، وأضاف: «تؤدي هذه الدرجات إلى الصالون الأساسي الذي كان يعرف بجناح الدرجة الأولى».

سألته جودي بشك: «أتعني حيث تنام كاترينا؟».

- إنها تنام في الغرفة التي كانت لجدتي، والتي تشكل جزءاً من ذلك الجناح. نعم. لذلك أستخدم هذه الدرجات لأصل إلى الصالون بدلاً من استخدام درج الممر.

وصلا إلى أعلى الدرج، وطالعهما باب آخر.

- خلف هذا الباب في الصالون الأساسي، والذي هو مموه

بالقماش الذي وضعه زوج جدتي الأول على الجدران، هناك مجموعة من الرسومات أبدعها تلميذ ليوناردو. بالرغم من أسطورة العائلة التي تصرّ، بحسب قول جدتي، أن الأستاذ بنفسه كان له دورٌ في إنتاجها.

فيما كان لورنزو يتكلم، كان يواكبها نحو غرفة أنيقة كبيرة علق على جدرانها قماش حريري أخضر. بدت الغرفة قديمة ومهجورة، مع ذرات من الغبار منتشرة في الهواء، تفوح منها رائحة الزهور.

- انتاب الدوق شعور بالخوف من أن رجال موسوليني سوف يطالبون بالحصول على الكاستيلو طمعاً برسوماته، لذلك حرص على إخفائها وقام بتغطيتها. كانت أمنيته أن يعاد إحياؤها يوماً ما. في الواقع عائلتنا كبيرة، وثمة أفراد منها يرتأون أن حصن كاستيلو يجب أن يباع، وتقسم المكاسب على الجميع. أرادت جدتي أن تتركه لي، لأنها عرفت أنه يمكنني أن أحقق باسمها الوعد الذي قطعته لزوجها الأول لحظة احتضاره.

- إذاً، لماذا اشترطت في وصيتها أن تتزوج؟

- حصل ذلك بتدخل من كاترينا. جدتي كانت لطيفة جداً، وتتمنى الخير للآخرين. اقتنصت كاترينا الفرصة بعد وفاة جينو، وتمكنت من إقناعها أننا مولعان ببعضنا، وأنني أريد الزواج بها. إنها امرأة جشعة، وقد أعطاها زواجها من جينو مركزاً اجتماعياً مرموقاً. تمنت أن ترفع مستواها أكثر بعد من خلال إيقاعي في فخ الزواج بها. المال والمركز الاجتماعي هما الأهم بالنسبة إلى كاترينا.

عبست جودي، وأنبأتها غرائزها أن ما يخبرها به لورنزو صحيح، وأن كاترينا كذبت عليها.

تابع لورنزو: «كاترينا تعرف مدى أهمية الكاستيلو بالنسبة إلي».

أردف بعد قليل: «أخبرها جينو بوعدي الذي قطعته لجدتي، فظنت أنها تستطيع استخدامه كي تجبرني على الزواج بها. لكن لحسن حظي، استطاع الكاتب العدل أن يخفي عنها إزالة اسمها من النسخة

الموقعة الأخيرة من الوصية، فصارت تقول إنه عليّ الزواج، بدلاً من الزواج بكاترينا تحديداً. وكأن المسألة لم تكن معقدة كفاية، لتقوم كاترينا بجعل شركة سياحية كبرى تعتقد أن الكاستيلو متوفر للبيع. حاولت تلك الشركة شراءه لتحوله إلى فندق فخم».

- لكن لماذا تأتي إلى هنا ليلاً؟

- لأنني لا أستطيع أن أقوم بذلك في وضح النهار، ولأنني بحاجة إلى الاتصال بالماضي، وإلى طمأنة الرجل الذي كرس حياته للمحافظة على هذا الحصن إلى أنني سوف أبذل ما بوسعي كي أحقق حلمه.

هز لورنزو كتفيه قليلاً، ثم تابع كلامه: «في الوقت عينه، لدي أحلامي الخاصة. أود أن أرى الكاستيلو يتحول إلى مركز تأهيل لضحايا الحرب الصغار... إلى مكانٍ يستطيعون فيه أن يتعافوا جسدياً ونفسياً. أود أن أراه مركزاً للفنانين والحرفيين الصغار، وللموهوبين الذين سوف يعملون على إحياء مجده، فيدربون المبتدئين الصغار كي يحذوا حذوهم. أريد أن أتخلص من طابع الكاستيلو المرعب، ومن ظل ضحايا الحرب الصغار، ومن الأماكن الكئيبة، وأبدل ذلك بالأضواء وبلذة العيش. اللقاءات التي أجريتها في فلورنسا تتعلق بخططي التغييرية في الكاستيلو. حالما نتزوج، ويصبح الحصن لي قانونياً، أنوي قبل كل شيء أن أعيد إحياء الرسومات».

اضطرت جودي لأن تطرف بعينيها بقوة كي تزيل دموعها الغبية، فقد استبدلت شكوكها تجاه لورنزو إلى موجة مفاجئة من التقدير له.

قالت بنبرة خفيفة عميقة، وهي تنظر إليه وتقديرها له يدفئ عينيها: «يبدو هذا رائعاً. يا له من مشروع سام بالفعل!».

نظر لورنزو إلى الخلف نحوها، وحبست جودي أنفاسها فيما استدار وتقدم خطوة باتجاهها. أبعدت نظرتها عنه، فيما انتفض قلبها بارتجافة قوية.

قال لها لورنزو بصوت فظ: «كاترينا لا تعتقد ذلك، فهي تفضل أن يباع المكان، وتصبح أموالي كلها لها كي تفعل بها ما تشاء. قادت ابن عمي إلى مقتله. حتى لو أحببتها بمقدار يفوق مقدار احتقاري لها، لما استطعت مسامحتها قط».

ارتجفت جودي بسبب الألم الذي ينضح من كلامه.

- لكن لابد أنك أحببتها في يوم من الأيام.

هز لورنزو رأسه يميناً ويساراً قائلاً: «لماذا تظنين ذلك؟ ألأنني أقمت علاقة معها؟».

تابع يقول: «كنت في الثامنة عشرة من عمري، تقودني أهواء جسدي ورغباته. هذا كل ما في الأمر».

كما تقوده الآن، إن أراد أن يكون صريحاً، ليأخذ جودي بين ذراعيه فيشبع فضولها، ويكمل ما بدأه في الليلة التي أعادت له فيها خاتم خطوبتها. لم تمر ليلة واحدة منذ تلك الليلة لم يفكر لورنزو في القيام بذلك. تغلغلت جودي في أعماقه كما لم تفعل أي امرأة من قبل. أخذت صورها تملأ رأسه سارقة أفكاره، فيما اختلج صدره بالغضب، وراح قلبه ينتفض بقوة فأخذ يصارع حانقاً ضد توقه هذا.

* * *

من الطبيعي أن تشعر كل عروس بالتوتر! هذا ما طمأنت جودي به نفسها فيما أصرت مصممة فستان عرسها القديرة على مساعدتها، بالإضافة إلى الخياطة ومساعداتها اللواتي ملأن غرفتها.

من كان يظن أن زفافاً صغيراً هادئاً سوف يتضمن كل هذه الخطط؟ اشتبهت جودي بأن الفستان وليس هي، هو السبب الرئيسي لإصرار المصممة العنيد على الإشراف على كل تفصيل من تفاصيل نهار الزفاف، بل حتى على إجراءات الاعتناء بالجمال التي نظمتها لجودي في الليلة السابقة. حاولت جودي أن تتخيل شعورها لو كان الأمر حقيقياً... زفافاً حقيقياً، وهي تقف هنا متوترة فيما تعقد رباط

مشدها، متوقعة أن تقوم بنذورها تجاه رجل أحبته فعلاً وأحبها.

لكن بالطبع، ليس هذا ما سيحصل. لأنها لم ولن تحب أي رجل. أليس كذلك؟ كررت لنفسها بإصرار، حين لاقى سؤالها الصمت العنيد من الصوت الداخلي المطمئن الذي يفترض أن يوافق.

- لا! يجب أن تشديه أكثر.

استطاعت جودي أن تسمع المصممة تأمر إحدى المساعدات بذلك، فأجفلت فيما انعصرت أنفاسها إلى خارج أضلاعها.

كان شعرها مصففاً بطريقة بسيطة على شكل ضفائر ملفوفة بنعومة إلى الأعلى، ومضمومة بحبل من الماس متناسب مع التطريز بالماس واللؤلؤ الموجود على الفستان. أمضى أخصائي التبرج ساعات طوالاً معها، حتى نجح أخيراً في جعل وجهها يبدو كأنه غير متبرج إطلاقاً، إنما تزينه لمعة بسيطة، بالرغم من أن جفنيها كانا ملونين بمسحوق أخضر مائل إلى الذهبي، ما جعل عينيها تبدوان رائعتين وهما تعكسان اللمعان الأخضر لحجر الزمرد.

بعد أن صارت المصممة راضية عن ضيق خصر جودي، خافت هذه الأخيرة من أن تفقد وعيها من جراء عدم قدرتها على التنفس.

أصرت المصممة على أخذها إلى أمام المرآة الطويلة، قائلة: «تعالي، وانظري!».

الصورة المنعكسة التي أخذت تحدق بها بدت غير مألوفة لها إطلاقاً. نظرت إليها عينان ذهبيتان كبيرتان ذات رموش سوداء معقوفة، أما شفتاها فكانتا مفترقتين لتكشفا عن أسنان بيضاء لؤلؤية، وقد أظهر الجزء الأعلى المشدود من فستانها الذي كان بلون القشدة جسماً رشيقاً وخصراً نحيلاً جداً، فيما غطى رجليها الطويلتين جوربان حريريان بلون القشدة.

قالت المصممة: «جيد!».

ثم أشارت إلى المساعدة قائلة: «والآن جاء دور التنورة».

الله وحده يعلم كيف كانت جودي ستتدبر أمر ارتداء هذه الثياب وحدها! هذا ما فكرت به بعد نصف ساعة من الوقت، حين لاقت التنورة والذيل أخيراً استحسان المصممة، وحين أسقطت الحجاب المصنوع من الدنتيل مع الصديرية لتغطي شعرها وجذعها.

سُمع طرق على الباب، بالإضافة إلى حوار خارج مسمع جودي. قامت المصممة بتسلم الأزهار، قبل أن تقول لها على عجل: «حان الوقت كي تخرجي...».

www.elromancia.com

١١ - كلهن نساء!

انتهى الأمر أخيراً؛ الطقوس الكنائسية، التجول بين الناس، وهو أمر لم تتوقع أن تقوم به، والترحيب بالمهنئين، وبأصدقاء لورنزو، بما فيهم المحامي وزوجته الفاتنة، بالإضافة إلى غداء الزفاف المرتجل الذي أصر كارلو أن يعده لهما فيما كان الجميع في المطعم يشاركون في الاحتفال. استغرقت مراسم الزفاف تسع ساعات بأكملها، لم تتجرأ جودي خلالها أن تأكل أو تشرب شيئاً، ولا أن تجلس بارتياح.

والآن أصبحا بمفردهما، كانت أسانتا قد جهزت لهما عشاءً بارداً وتركته لهما، قبل أن تتوجه إلى الكنيسة كي تشهد على زواجهما.

شعرت جودي أنها منهكة جداً إلى درجة أنها لم تعد تستطيع الوقوف على رجليها. صار المشهد يشكل نوعاً من العذاب الموجع المفرط.

عندما وصلا إلى الشقة، توجهت نحو الدرج مباشرة، حاملة تنورتها الطويلة.

سألها لورنزو: «أأنت متعبة؟».

بالكاد استطاعت أن تهز رأسها بالإيجاب. إن كلمة متعبة لا تصف حتى جزءاً مما تشعر به جسدياً ونفسياً. حسناً! لماذا تراها تشعر بالتعب النفسي.

أضاء النور الداخلي وعيها على حقيقة لم تود إدراكها أو الاعتراف بها، وراح يسطع بقوة أكبر مع كل دقيقة تمر. كرهت جودي

الاحساس بالذنب والخجل للطريقة التي كانا يستخدمان فيها النذورات. سمعت لورنزو يقول لها: «سأرافقك».

كيف يمكن لفستان أن يكون بمثل هذا الوزن؟ حين وصلت جودي إلى أعلى الدرج، بدأ قلبها ينبض باضطراب، وبدأت تشعر بالدوار. عندما وصلا أمام باب غرفة نومها، لمسها لورنزو برفق على كتفها، وقال لها ببرودة: «هل تسمحين لي بدقيقة؟».

لقد تزوجت لتوها، وهو يسألها إذا ما كانت تسمح له بدقيقة، وكأنها إحدى معارفه! لكن أليست هي كذلك حقاً؟

أدركت جودي أنه ينتظرها كي تعبر الممر وتتبعه إلى غرفته. كانت رجلها تؤلمها بشدة، لكنها أبت أن تجرها.

سارت برفقته إلى غرفة نومه، ووقفت قرب الباب، رافضة أن تنظر إلى السرير. مشى لورنزو نحو خزانة ملابسه، حيث حمل شيئاً، ثم عاد باتجاهها. قال لها وهو يهز كتفيه بعدم اكتراث: «نظراً لمخاوفك المتعلقة بحجر الزمرد، فكرت أنك قد تفضلين وضع هذا بدلاً منه. ويمكنك أيضاً أن تحتفظي به إذا أردت».

بصمت مطبق، أخذت جودي العلبة الصغيرة منه وفتحتها. بداخلها لمعت ماسة على شكل الإجاصة في الخاتم.

- ليس بإمكاني أن أحتفظ بها. لابد أنها باهظة الثمن.

عبس لورنزو، وكأن رفضها لم يسرّه. وما لبث أن وافق، وقال باختصار: «كما تريدين».

قالت جودي في سرها مرتجفة: مثل زواجنا.

أردفت بصوت مسموع: «كنت أفضل ألا نتزوج في الكنيسة. فقد جعلني ذلك أشعر...».

قطعت جودي كلامها، وهزت رأسها يميناً ويساراً، فيما أدركت استحالة قدرة لورنزو على فهم شعورها.

سببت لها تلك الحركة المفاجئة دواراً مفاجئاً جرفها معه، تبعها

إدراكها للحقيقة، فكادت أن تفقد وعيها. بدافع غريزتها، سارعت لتتشبث بأقرب ما وصلت إليه يداها، وإذا بها تتشبث بلورنزو. مالت نحوه بقوة، فتمسك بها بقوة كي لاتسقط أرضاً.

استطاعت جودي أن تقرّ: «إنه الفستان».

تابعت: «إنه مشدود بقوة كبيرة...».

في اللحظة التالية، جعلها لورنزو تستدير. ساندها بيد واحدة، فيما راح يتفحص ربائط مشدها. سألها بتجهم: «لماذا لم تقولي ذلك من قبل؟ كيف يُفك هذا بحق السماء؟».

أجابته جودي بنبرة ضعيفة: «يجب إزالة الذيل أولاً، فهو متعلق به».

قبل أن تستطيع جودي إيقافه، كان لورنزو يتحسس الربائط الصغيرة، ويفكها بسرعة هوجاء. وحين حلها كلها انزلق الذيل بنعومة على الأرض. سألها لورنزو: «ما الذي دعاك بحق السماء إلى ارتداء فستان ضيق إلى هذا الحد؟».

أقرّت جودي: «لم تكن فكرتي، بل فكرة المصممة».

أضافت: «أصرت أن يشد الفستان كثيراً».

- كيف تمكنت من ربطه ليبدو ضيقاً جداً؟

- هو مربوط من الداخل.

مجرد بذل جهدٍ لتتكلم، جعل جودي تشعر بالضعف من جراء عدم قدرتها على جذب كمية كافية من الهواء إلى رئتيها.

- لا تتحركي!

قال لها لورنزو هذا، قبل أن يتركها واقفة في وسط الغرفة، فيما توجه نحو خزانة ملابسه وفتح درجاً فيها. وحين عاد، كان يحمل بيده مقصاً.

- لا! لا يمكنك...

اعترضت جودي بضعف، لكن كان الأوان قد فات. إذ راح يقص

القماش متجاهلاً اعتراضها.

كادت جودي تبكي لإحساسها بنعمة القدرة على التنفس بشكل طبيعي.

- يا إلهي! لابد أنك تشعرين بالخدر والضغط القوي على جسمك.

قال لورنزو ذلك متفقداً فيما تفحص العلامات الحمراء على جلدها حيث كان المشد مربوطاً بإحكام، وأردف: «لماذا لم تقولي قبل الآن إن رجلك تؤلمك؟».

كذبت جودي وقالت: «لأنها لا تؤلمني».

- بل تؤلمك. اذهبي واستلقي على السرير. سوف أمسّدها لك.

اعترضت قائلة: «لا داعي لذلك».

وأضافت: «سوف يتحسن حالي الآن، بعد إزالة الربائط».

حين نقلت ثقل جسدها من رجل إلى أخرى، وخزها ألم حاد في رجلها المصابة، ما دعاها إلى إطلاق أنين ألم.

همهم لورنزو بكلمات لم تتمكن جودي من فهمها، ثم حملها متجاهلاً اعتراضها السخيف، ونقلها إلى السرير.

قال لها بتجهم وهو يضعها عليه: «أنت المرأة الأكثر عناداً التي التقيتها في حياتي».

وتابع: «والآن، استلقي، وسوف أدلّك رجلك».

أرادت جودي أن ترفض بدافع كبريائها. لكن رجلها كانت تؤلمها فعلاً، وبدا تمسيدها بغية إزالة الألم فكرة مغرية لا تستطيع رفضها.

استلقت جودي على السرير بصمت، وأغمضت عينيها. نسيت أمر جواربها التي لا تزال ترتديها، وشعرت بالتوتر حين أزالها لورنزو من رجلها بطريقة فعالة ميكانيكية.

وما لبثت أن أحست بلمسة يديه، ولم يكن رد فعلها على تدليك أصابعه القوية لعضلات رجلها المتألمة ميكانيكياً قط.

www.elromancia.com

استلقت جودي على بطنها كي تخفي تعابير وجهها المرتبكة. ليس بدافع الاحتشام، إنما بدافع الخوف مما قد تظهره تلك التعابير له. والآن، فيما أخذت تشعر بتأثير تدليك أصابعه وملامستها لجلدها المتألم، سرّت لأنها فعلت ما فعلته. بعد أن أزالت أصابعه الألم من عضلات رجلها وجلدها، تبدل هذا الألم بنوع آخر من الإحساس، سرى مفعوله في أعماقها، تبعه نبض مرتعش ازداد قوة، حتى تسارعت نبضاتها وانتشرت لتصل إلى أطراف أعصابها. ابتعدت جودي عنه بعدم ارتياح، وتحركت كي تجلس على السرير، مخافة أن يدرك لورنزو ما تشعر به.

سألها: «ما الخطب؟ هل تخافين أن أغويكِ؟».

أدركت جودي أنه يسخر منها، فأجابته: «لا، بالطبع. لمَ سأفكر بذلك؟ أنا أعرف أنك لا تشعر بالانجذاب نحوي».

الآن صارت جودي في وضعية الجلوس. لكنها لم تستطع أن تنزل عن السرير لأن لورنزو كان يقف أمامها مباشرة.

- وهل تتمنين لو أنني أشعر كذلك؟

أجابته بعنف: «لا!».

- أنت تكذبين.

اتهمها لورنزو بالكذب، الأمر الذي صدمها، فيما جذبها كي تقف ويصبح جسدها مواجهاً تماماً له. أضاف: «الكذب هو طبيعة ثانية للجنس اللطيف. أليس كذلك؟».

اعترفت جودي لنفسها: نعم، إنها تكذب. لم يكن لديها أي خيار آخر... أي وسيلة أخرى تحمي بها نفسها. لكن لمَ يتصرف لورنزو بهذه الطريقة معها؟ أدركت من خلال ما قالته كاترينا لها إن خبرته مع أمه منذ أيام الطفولة، بما في ذلك عدم إخلاصها لوالده، قد أنزل من شأن الجنس اللطيف في ناظريه، وجعله بحاجة إلى حماية نفسه من الألم العاطفي، إلاّ أن ذلك ليس سبباً كافياً ليعاقبها. تماماً كما أنه

ليس سبباً كافياً لجودي لتصنّف الرجال جميعهم على أنهم غير مخلصين، ومخادعين وسطحيين بسبب الطريقة التي عاملها بها جون. ابتلعت جودي ريقها بعدم ارتياح، غير قادرة على تجاهل الصوت في داخلها.

كرر لورنزو قائلاً: «أنت تكذبين».

وأضاف: «اعترفي بذلك».

تحدته جودي بعدم رحمة: «بماذا تريدني أن أعترف؟».

تابعت متحدية: «بأنني أشعر بالانجذاب إليك؟ ما الهدف من ذلك؟ أنت لا تريدني. جلّ ما تريده هو أن أعطيك دليلاً لتثبت لنفسك أن كل النساء يشبهن أمك وكاترينا. حسناً! لسنا كلنا كذلك. تريدني أن أكذب عليك، لأنك بهذه الطريقة، يمكنك أن تقول لنفسك إن النساء كلهن متشابهات. لانك تخاف من...».

- كفى!

حاولت جودي أن تعترض، لكن لم تتمكن من ذلك فقد أمسكت يدا لورنزو بها بقوة، فيما شدّها نحوه بقوة كبيرة إلى حدّ استطاعت معه أن تشعر بأزرار قميصه تضغط عليها. همس لورنزو بعنف في وجهها: «لست خائفاً من أي شيء».

وأردف: «لاسيما من شعوري بالانجذاب نحوك، ولكي أثبت ذلك...».

قبل أن تستطيع جودي أن ترد عليه، عانقها لورنزو عناقاً عميقاً وحميماً، فيما أخذت يداه تفكان عقدة شعرها المصفف بعناية فائقة.

عرفت جودي أن عليها أن توقفه، إلا أن مشاعرها تجاهه بدت أقوى من مشيئتها. لابد أن الغضب الذي اهتاج بينهما، ولّد لدى لورنزو شغفاً سرعان ما انتقل إليها وسيطر على قدرتها على لجم توقها إليه. أخفض لورنزو يداً واحدة إلى ظهرها فيما راحت أصابع يده الأخرى تعبث بشعرها.

أحست بخدر لطيف في أطراف أعصابها، ما زاد من حدّة شعورها بحميمية عناقه. أجهدتها تلك المشاعر، وهي تستحوذ عليها كلياً، مضعفة مشيئتها وعظامها، ومركزة كل انتباهها المجمد، ليس على تحذيرات دفاعاتها الطارئة، إنما على اندفاع موجات الحرارة في مختلف أنحاء جسمها المتجاوب مع عناق لورنزو الشغوف.

هل عبرت جودي عن مشاعرها بصوت مرتفع؟ وصل إحساسها إليه بطريقة ما. هذا ما أدركته مع إحساسها بالدوار، فيما أرخى لورنزو أصابعه عن شعرها، وانزلقت يده تلك على طول جسدها.

وما لبث أن حملها، ووضعها مجدداً على السرير. لم تستطع جودي أن تشيح بنظرها عنه، وهو يقترب منها مجدداً فجلس إلى جانبها على السرير. فجأة لامست ذهنها فكرة مفادها أن اتفاقهما لا يتضمن ممارسة العلاقة الزوجية، وأنها يجب أن تكون خائفة على عذريتها بدلاً من السماح للونزو بإغوائها. فهو لم يعدها مطلقاً بأي نوع من الالتزامات باستثناء تلك التي تلفظا بها كذباً أثناء مراسم الزفاف.

وخزتها تلك الحقيقة، فشعرت بالتوتر. دفعت لورنزو بعيداً عنها، فيما أخذ جسدها يصرخ متألماً لحرمانه من دفء قربه.

جلس لورنزو عابساً. حاول أن يأخذها بين ذراعيه من جديد، لكن جودي قاومته وهي تهز رأسها يميناً ويساراً. صرخت: «لا!».

سألها لورنزو بقوة: «ماذا؟ ماذا تقولين؟ أنت تريدينني...

تجاوبت معي بقوة، و...».

وافقت جودي مرتجفة: «وأنت تريد أن تثبت أن كل النساء يشبهن أمك، وأننا كلنا كاذبات محتالات. نعم، أريدك. لكنني أريد احترام ذاتي أكثر».

فيما كانت تتكلم، راحت تشق طريقها بعيداً عن ذراعه المقيدة، كي تنزل عن السرير. حملت ذيل فستانها بسرعة، واعية تماماً أن

لورنزو يراقبها، لكنها لم تتجرأ على النظر إليه، خشية ألا يتمكن تصميمها من المقاومة.

استلقى لورنزو على سريره، وراح يحدق بالسقف. الألم الذي شعر به هو مجرد ألم جسدي، أما الإحساس الذي راح يلتهب داخله، فهو الغضب الخانق بسبب جرأة الكلام الذي تلفظت به جودي. حسناً! إنها لا تعني له شيئاً... أي شيء على الإطلاق!

خروجها من سريره أمر مرحب به عنده، وليس عليه أن يشعر بالأسف قط، كما يجدر به أن يرحب برحيلها حالما ينتهي اتفاقهما. طمأن لورنزو نفسه بإصرار عنيف.

برر سبب انجذابه إليها، إلى عدم وجود امرأة في سريره منذ وقت طويل. حسناً! تلك حاجة يستطيع أن يشبعها بسهولة. إذا اقتضى الأمر، بإمكانه أن يجري الآن مكالمة هاتفية، وإذا لم يستطع أن يتواصل مع أي من النساء اللواتي يرحبن عادة بدعواته، فهو يعرف أن فلورنسا، مثلها مثل أي مدينة أخرى، تعجّ بالنساء اللواتي يعرفن كيف يشبعن رغبات الرجال من دون أن يطالبن بأكثر من أجرهن.

لكن لمَ عليه أن يدفع لغانية، وهناك امرأة يعرفها تستطيع أن تلبي رغبته بسرور؟ فجأة تذكر أمه والهدايا الثمينة التي تلقتها مكافأة لعدم إخلاصها، حتى لو كانت من عاشق واحد فقط. بدأ قلب لورنزو ينبض بغضب.

نزل عن السرير. وبعد خمس دقائق، وفيما هو يقف تحت مياه الاستحمام، استطاع أن يشعر بقلبه يعاود نبضاته الطبيعية.

ما أغضبه حقاً، هو أن جودي التي بدأ يفكر فيها على أنها شخص سليم ومنطقي، أخذت توجه إليه اتهامات سخيفة لا أساس لها. كيف تجرأت أن تتهمه بأنه مجروح عاطفياً، وأنه أرادها أن تكذب عليه بغية تعزيز اعتقاده بأنه لا يمكن الوثوق بالنساء؟ أثبت لها لورنزو أنه يثق

بها، وأخبرها أموراً خاصة جداً وقريبة من قلبه، لم يناقشها من قبل مع أي شخص آخر. هل ظنت جودي فعلاً أنه قد يفعل ذلك، ثم يحاول البحث عن سبب ليزيل تلك الثقة بينهما؟ تبين له أنه من غير المنطقي أن يفعل شيئاً مماثلاً، كطفل مرتعب يحاول أن يحمي نفسه من الأذى، خشية حرمانه من الحب.

وكأن لورنزو يخاف من الوقوع في حب جودي، ويكافح بقوة كي لا يفعل!

لكن... أتراه كذلك؟ أوقف لورنزو تدفق المياه من مرشة الاستحمام وتناول منشفة.

١٢ - ظلال الماضي

مضى على زواج لورنزو وجودي أسبوع تقريباً. في غضون هذا الأسبوع لم يذكر أي منهما ما حدث يوم زفافهما. بدا لورنزو مهذباً جداً وعديم الاكتراث تجاه جودي حين يتواجدان معاً، أما جودي فراحت تمضي الكثير من الوقت في استكشاف المناظر الطبيعية الخلابة، إلى أن تشعر بالانهاك، فتستلقي متعبة على السرير، وتنام على الفور.

لكنهما الآن رجعا إلى الكاستيلو، بعد أن تم إصدار الأوراق القانونية لنقل ملكيته إلى لورنزو.

قال لها لورنزو بنبرة جازمة وهما يمران بالقرب من ساحة الكاستيلو: «لم أنسَ أنه يجب أن أحقق الجزء المتوجب عليّ من الصفقة».

أضاف بنبرة باردة: «قمت بالإجراءات اللازمة لنسافر إلى لندن في نهاية الأسبوع، كي نحضر زفاف خطيبك السابق. فندق كوتسولاس الذي حجزت فيه يقع في مكان يسمى لويرسلوتير.

أقرت جودي: «آه! نعم. أعرفه».

إذا كان هذا الفندق هو نفسه، فلابد أنه باهظ الكلفة والفخامة.

- اعتقدت أنك قد تودين أن نقيم في مكان بعيد عن منزلك الأول.

وافقت جودي بنبرة جافة: «نعم. أود ذلك».

بالطبع، هي لا تريد أن يعرف أحد أنها وزوجها ينامان في غرفتين

www.elromancia.com

منفصلتين، لاسيما أنها ستتباهي بزواجها السعيد أمام الجميع.

قالت له بهدوء: «كنت أفكر...».

تابعت: «...لست متأكدة أنها فكرة جيدة لي... أن أمضي قدماً في خطتي».

- لكن كان ذلك هو الهدف من زواجك بي.

- نعم. أعرف.

كانا قد وصلا إلى الرواق الآن. فجأة ظهر العبوس على وجه لورنزو وهو يرى كومة من الحقائب والعلب غير المرتبة مكدسة في وسط الرواق.

قال لجودي عندما فتح باباً داخلياً أمامها: «سوف نناقش ذلك لاحقاً».

بانت كاترينا من ذلك الباب معلنة فجأة: «إذاً، أتيت لتتباهى بنصرك وتتخلص مني. أليس كذلك؟ حسناً! فات الأوان، فأنا راحلة. أنت تظن أنك انتصرت لورنزو، لكنك في الحقيقة لم تكسب غير الدمار، وغير زوجة لا تريدها. فعلت ذلك كله من أجل بعض الرسومات القديمة، التي من خلالها تستطيع أن تفي بوعدك لامرأة عجوز».

بعد أن وبخته كاترينا بمرارة، أكملت قائلة: «لو لم تفعل ذلك لأمكننا أن نستمتع كثيراً معاً، لكن فات الأوان الآن. سوف يحضر إيليا ليقلني قريباً».

سألها لورنزو بحدة: «من هو إيليا؟».

- إنه رجل التقيته حين كان مهتماً بشراء هذا المكان، وأصبح صديقاً وفياً لي، والآن...

قلبت كاترينا شفتيها مظهرة استياءها، ثم ابتسمت ابتسامة تنم عن الجشع.

سألها لورنزو باختصار مستفسراً: «أتعنين أنه حبيبك؟».

- لست مضطرة لإجابتك، لكن، نعم. نحن كذلك، وسوف يرسل سائقاً ليقلني، بالإضافة إلى شخص آخر كي ينقل ثيابي.

استدارت كاترينا، ونظرت إلى جودي، ثم أضافت: «احرصي على ألا يستخدمك لورنزو كما استخدمني. وإذا ما فعل، احرصي على ألا يجعلك حاملاً، لأنه سوف يجبرك على إجهاض طفلك، كما فعل بي».

استطاعت جودي أن تشعر بالدماء تنسحب من وجهها. نظرت إلى لورنزو نظرة غضب ووحشية، متوقعة منه أن ينكر اتهامات كاترينا المريعة، لكنه بدلاً من ذلك، استدار ببساطة وغادر.

همست جودي: «هذا ليس صحيحاً».

تابعت بأسى: «هذا مستحيل. لا يمكن للورنزو أن...».

سخرت كاترينا منها: «ماذا؟ هل وقعت في حبه؟».

أكملت بوقاحة: «يا لك من غبية! أنت لا تعنين شيئاً له، ولن تفعلي أبداً. صحيح أن لورنزو أجبرني على إجهاض طفلي، وإذا لم تصدقيني، اذهبي واسأليه، لكنه لن يهتم لأمرك وسيكذب عليك. هذا هو لورنزو. لا تسمح له كبرياؤه بالتنازل مطلقاً».

بدأت كاترينا تضحك، ثم مرت أمام جودي فيما دخلت سيارة ما إلى ساحة الحصن.

* * *

لم تكن لدى جودي أي فكرة عن الوقت الذي قضته وهي جالسة وحيدة في حديقة الكاستيلو، محاولة أن تتكيف مع عنف مشاعرها المضطربة.

قالت لنفسها إن كاترينا لم تخبرها الحقيقة. صحيح أنها لم تقع في غرام لورنزو، لكنها تشعر بالانجذاب نحوه. إن لم يكن الانجذاب الجسدي حباً، إلا أنه تعبير عنه. لا تستطيع جودي أن تحب رجلاً لا يحبها فحسب، إنما لا يعرف معنى الحب أصلاً. لكن... ماذا لو

كانت واقعة في حبه؟

- سوف يحل الظلام، إذا بقيت هنا لوقت أطول، وسوف تؤلمك رجلك بعد حين.

لم تسمع جودي وقع خطوات لورنزو وهو قادم إلى الحديقة، فاقتربت تلقائياً نحو الظلام، مخافة أن يتمكن من قراءة تعبير وجهها. شعرت بالتوتر حين جلس بالقرب منها.

قالت له بصوت خافت: «أنت محق. من الأفضل أن أدخل».

- لمَ لا تودين العودة إلى إنكلترا؟

نظرت جودي إليه نظرة جافة، وقالت: «ماذا؟».

في الواقع نسيت حديثهما الأخير بسبب الاضطراب الداخلي الذي أحدثته تعليقات كاترينا.

أصر لورنزو قائلاً: «لابد من وجود سبب ما».

اعترفت جودي بتردد: «لست متأكدة أن هذا ما أريد القيام به».

أضافت موضحة: «بدت لي فكرة جيدة في بادئ الأمر، ورسمت لي هدفاً أنوي تحقيقه... أمراً أركز عليه، أما الآن...».

الآن شعرت كأن جذور حياتها تعود إلى ملايين السنين، ولم تعد تهتم لما قد يقوله جون أو لويس أو لما يفكران به حتى، لأنها الآن... لأنها ماذا؟ بدأ خوف غير مرغوب منه ينتشر في داخلها. أيعقل أن هذا التغيير المزلزل في مشاعرها هو نتيجة وقوعها في حب لورنزو؟

وقوعها في الحب؟ ما يعني أنها في وسط فعل تستطيع إيقافه. قررت جودي بعزم شديد أن بإمكانها أن تتوقف عن ذلك بالفعل.

- أظن أن علينا الذهاب.

- أحقاً؟

إذا تجادلت معه الآن، هل سيعتقد أنها بدأت تقع في حبه؟

- نعم. سوف يساعدك ذلك على إنهاء العلاقة مع كليهما. بعدئذٍ

سوف يمكنك أن تمضي بحياتك قدماً.

- هممم... أفترض أنك محق.

قال لورنزو: «أعرف أنني محق».

أضاف بعد قليل: «ما أتمناه هو...».

- ماذا؟ لو أنك تزوجت كاترينا؟

أنكر لورنزو بحدة: «لا!».

- هل فعلت...؟ أحقاً أنك...؟ هل ما قالته عن... عن الطفل صحيح؟

همست جودي، غير قادرة على منع نفسها من طرح السؤال الذي راح يمزق أحشاءها ويضايقها منذ أن وجهت إليه كاترينا اتهامها.

اعترف لورنزو بتثاقل: «نعم».

ارتعدت جودي، واعترضت ثائرة: «طفلك!».

ثم أضافت: «كيف...؟».

- لا. لم تكن كاترينا... لم يكن طفلي، لكن ذلك لا يقلل من ذنبي. لم أفكر... تلك هي المشكلة. لم أفكر. افترضت فحسب، بتعجرف الشباب وحماقته، أن...

قطع لورنزو كلامه، واستطاعت جودي أن تلاحظ التوتر في فكيه.

تابع قائلاً: «كان قد مضى على خطوبة جينو وكاترينا ستة أشهر قبل أن تتباهى أمامي أن لديها حبيباً آخر. لم تسامحني على إنهائي لعلاقتنا العابرة، وظنت أنها بذلك تثير غيرتي. أخبرتني أنها سوف تنجب طفلاً من حبيبها ذلك، وأنها قالت لجينو إن الطفل طفله. شعرت بالغضب بسبب ما اقترفته بحق ابن عمي، فيما هو متيم بحبها. سيطر عليّ غضب الشباب، وحاولت أن أمنعها من متابعة الحمل. قلت لها إنها يجب أن تخبر جينو الحقيقة أو أنني سأخبره بنفسي. أردت-أن يعرفها جينو على حقيقتها. نعم، تمنيت أن يفسخا خطوبتهما، وذلك لصالح جينو ليس إلاّ. لكنها بدلاً من أن تخبر جينو

الحقيقة، أجهضت، وأخبرته أنها فقدت الجنين. شعر جينو بالاحباط اللامحدود، فقرر أن يتزوجها على وجه السرعة. أشعر أنني بسبب تدخلي أزهقت روحاً ودمرت حياة أخرى».

ابتلعت جودي ريقها. قالت له: «لست أنت المسؤول».

- بل أنا هو المسؤول. لو لم أتدخل، لاحتفظت بالطفل على الأقل.

- لظلت تكذب على ابن عمك.

- حاولت أن أصلح الأمور. حاولت أن أسيطر على تصرفها لأنني لم أستطع السيطرة على تصرفات أمي. أمي تركت أبي وتركتني أيضاً، كي تكمل حياتها مع حبيبها. كاترينا بقيت مع جينو، لكنها مثل أمي تماماً، ضحت بطفلها من أجل غاياتها الخاصة.

حين سمعت جودي الألم في صوت لورنزو، خالجها شعور أن كاترينا عرفت مسبقاً ما ستكون عليه ردة فعله، وأن رغبتها في إيذائه حفزت قرارها بالتسبب بالألم والذنب للورنزو.

- لا أستطيع أن أسامح نفسي على ذلك... أبداً!

أشارت جودي بهدوء: «كاترينا هي التي قررت، ولست أنت».

أضافت شارحة: «كان ذلك طفلها، ولم تكن أنت الأب».

قال لورنزو لجودي بحسرة: «لو عاد الأمر لي، لما سمحت بأن يحصل ذلك مطلقاً، حتى لو اضطررت لحبسها في غرفة لمدة تسعة أشهر كي أتأكد من ذلك».

صمت قرابة الدقيقة، ثم أردف بهدوء أكثر: «أخبرتني أمي مرة أنها لم تكن تريدني، ولكنها أكرهت على الزواج بأبي بسبب الضغط العائلي. كان الزواج به نوعاً من الهروب من سيطرة أهلها القوية».

بدا صوت لورنزو كئيباً فعلاً.

علقت جودي بلطف: «كم أنا محظوظة لأنني حظيت بوالدين يحبان بعضهما ويحباني».

لم تستطع أن تتخيل مرارة شعور طفل صغير، فيما أمه تخبره أنها لا تريده.

- كانت يافعة جداً حين تزوجت. كانت في السابعة عشرة من عمرها، وكان أبي في الرابعة والعشرين. أحبها حباً جماً. أما عشيقها فهو سائق سيارات سباق، تعرفت به عن طريق صديقة لها. بدا جذاباً أكثر من أبي. كانت تصطحبني معها حين تواعده، ولم تكن لدي أدنى فكرة عن الحقيقة، ظننت... أراني سيارته و...

فكرت جودي في سرها: وأحببته! أحببته، ثم شعرت أنك خنت أباك، تماماً كما فعلت أمك!

- أخيراً هربا معاً، وماتت أمي في جنوب أفريقيا بسبب تسمم في دمها، حيث كان يشارك في أحد السباقات. لم يتخطّ أبي مأساة فقدانها، أما أنا فأقسمت مذاك ألا...

أكملت جودي الجملة عنه: «ثق بامرأة أخرى؟».

صحح لورنزو لها: «ألا أدع عواطفي تسيطر عليّ مطلقاً».

سألته: «هل علينا أن نبقى متزوجين لسنة كاملة؟».

أردفت: «...حصلت على ملكية الكاستيلو الآن، وغادرت كاترينا...».

ذكرها لورنزو باختصار: «تنص الإجراءات على أن نبقى متزوجين لمدة سنة، فإذا غيرنا هذا الآن، سوف نثير الثرثرة والشكوك حولنا، وبالرغم من أن كاترينا غادرت، فقد تختار أن تتحدى ما ورد في الوصية إذا اعتقدت أنها قد تربح القضية، وأنا لا أريد حصول هذا».

- تبدو الاشهر الأثني عشر القادمة طويلة جداً.

- لم تصبح أطول مما كانت عليه حين قررت أن تبقي معي طيلة هذه الفترة.

لكنها في ذلك الوقت، لم تكن تعرف ما تعرفه الآن. أليس كذلك؟ لم تكن جودي تعرف أنها سوف تقع في خطر حبه، وأن كل

يوم إضافي تقضيه بجانبه يزيد من ذلك الخطر. لكنها لا تستطيع أن تخبره هذه الحقيقة بالطبع.

- ماذا سيحصل لحصن كاستيلو الآن؟

سألته جودي، وهي تعلم أن ما من شيء تقوله يستطيع أن يشرح سبب ترددها في البقاء معه كما اتفقا من قبل.

قال لورنزو: «أنا أقوم بالترتيبات كي يأتي بعض الخبراء إلى هنا، ويتفحصوا الرسومات، بعدئذٍ سنناقش معاً الطريقة الفضلى لإحيائها. كما أنوي تزويد المكان بالتجهيزات اللازمة بغية تحويل الكاستيلو إلى مركز لإعادة التأهيل، وإلى مكان تعرض فيه أجمل التحف الفنية. تكلمت مع عدد من حرفيي مدينة فلورنسا... حسناً! هذه الأمور ليست من ضمن اهتماماتك».

أخفضت جودي رأسها، كي لا يرى لورنزو الأذى الذي سببه كلامه لها. بالطبع هو لا ينظر إليها على أنها جزء من المستقبل الذي يبنيه. لمَ عليه أن يفعل ذلك أصلاً؟

ما خطبه؟ سخر لورنزو من نفسه. إحساسه بصلة ما مع جودي لم يختبرها مع أي إنسان آخر، وتقربه منها لا يعنيان شيئاً البتة. بالطبع! هذا لا يعني أنه بدأ يقع في حبها. استطاع أن يشعر بالتوتر يغمره ويتغلغل حتى أعماقه. بدا كما لو أنه يحاول حبس أفكاره ومشاعره، بل سلب الحياة منها كلياً. أتراه خائف من تلك الأفكار والمشاعر حتى إنه يود خنقها؟ إذا كان بالفعل خائفاً من تأثير جودي عليه، فلماذا لم يقتنص الفرصة التي وفرتها له للتخلص منها؟ هذا لأنه ليس خائفاً من أي شيء، ولمَ عليه أن يخاف؟ ما الذي يدعوه إلى الخوف؟ جودي لا تعني له شيئاً، وعندما يحين وقت انفصالهما، سوف يفعل ذلك من دون أي شعور بالندم أو بوخز الضمير.

١٣ - مواجهة حامية

تمت رحلتهما من فلورنسا إلى لندن بالطائرة الخاصة، ثم أقلتهما المروحية من مدينة هيثرو إلى فندقهما، ما جعل جودي تشعر أنها تأخذ دوراً في فيلم سينمائي لا في الحياة العادية. تمت مواكبتهما من المروحية إلى جناحهما مع تركيز فائق على راحتهما، ما أثار ابتهاج جودي، وجعل لورنزو يبدو أكثر تجهماً وتعجرفاً من ذي قبل.

يعود بناء فندق كوتسوود الحجري الرائع إلى القرن السابع عشر، وهو مكان الارتياد المفضل للأغنياء من الدرجة الأولى، وهو أيضاً الموقع المفضل للمناسبات الخاصة لأولئك الأشخاص بالذات.

تميز المكان بطرازه الفريد؛ بدءاً بالرواق الرحب بتحفه وأجوائه التي تذكر بالمقر الريفي، وصولاً إلى طريقة تزيين جناحهما الممتلئ بآنيات الأزهار الشبيهة بتلك التي نسقت في زفافهما.

بدا ذلك المكان لجودي عالماً مختلفاً، فيما طمأنها كبير الخدم الخاص بها أن ثيابها سوف ترتب وتكون جاهزة في غضون ساعة من الوقت.

قال لورنزو: «طلبت أن ترسل لنا سيارة مستأجرة اليوم، كي أستطيع الاعتياد على المنطقة قبل ذهابنا لحضور الزفاف».

- والدا جون يقيمان حفلة مفتوحة الليلة، وجميع أهل البلدة مدعوون.

- هل يجب أن نحضر؟

هل تود جودي ذلك فعلاً؟ بردت تقريباً تلك النار المشتعلة في

داخلها، والتي وخزت كبرياءها، وقادتها إلى الرغبة في أن تقف بكل ثقة أمام معارفها بصحبة رجل. جعلها ذلك تتساءل عن سبب وجودها هنا، بعد أن باتت غير مكترثة للأمر.

لم يعد جون أو لويس يؤثران على عواطفها أو يسببان لها أي ألم كما في السابق. صارت الحياة التي عرفتها وعاشتها قبل أن تلتقي لورنزو تبدو بعيدة عنها كلياً الآن. بدأت تكسب الأصدقاء في فلورنسا، وتطور اهتمامات جديدة، وتبني نظرة أوسع عن الحياة، لكنها لا تستطيع أن تتخيل نفسها وهي تعود إلى هنا بعد انتهاء زواجها من لورنزو. بالرغم من ذلك، ماذا يمكنها أن تفعل؟ أتبقى في فلورنسا؟ لا! ذلك سيبدو مؤلماً للغاية.

مؤلم...!؟ لماذا؟

إنها بالطبع تعرف الإجابة عن ذلك السؤال، فقد افترضته في الليلة التي أخبرها فيها لورنزو عن تاريخ رسومات الكاستيلو المخفية. عرفت الجواب خلال الأمسية التي جلست فيها في حديقة الكاستيلو، واستمعت إليه وهو يخبرها عن طفولته ومشاعره.

قالت جودي للورنزو بعدم ارتياح: «لم أعد واثقة من أن هذه فكرة جيدة».

- لمَ لا؟ ألأنك خائفة مما قد تعرفينه عن مشاعرك؟

- لا! ما من جديد في ما يخص مشاعري. أعرف تماماً كيف أشعر.

فكر لورنزو غاضباً: إنها لاتزال تحب ذلك الرجل الغبي الذي فضل امرأة أخرى عليها.

اقترح بتجهم: «هل تخافين ألا تتمكني من منع نفسك من الإسراع نحو خطيبك السابق والتوسل إليه أن يأخذك مجدداً ما إن ترينه؟».

اعترضت جودي: «هذا سخيف!».

تابعت بجدية: «بغض النظر عن أي شيء آخر، فأنا امرأة متزوجة

الآن».

- وهل أنت ساذجة فعلاً لتظني أن خاتم الزواج يشكل دليلاً فعالاً لعواطفك؟

- ليس عليه ذلك، فأنا لا أملك أي مشاعر تجاه جون الآن. هو لا يعني شيئاً لي، ولهذا لا أود الذهاب.

رن صوتها بنبرة الاقتناع، فشعر لورنزو بقلبه يرتطم بأضلاعه، وكأنه يحثه ليطرح عليها السؤال الذي يتحرق شوقاً لمعرفة جوابه، لكنه تجاهل إحساسه ذاك، وثنى كمّ سترته إلى الخلف من دون أن يسمح لجودي بمتابعة الكلام. قال باختصار: «حان وقت الغداء. يجب أن نطلب الطعام. بعدئذٍ سنحصل على السيارة، وسوف أقوم بالتعرف على الطرقات في هذه الأمسية».

بدت منطقة كوتسوود منبسطة تحت دفء حرارة الشمس، وقراها تعج بالسياح.

بدت بلدة لوير أفنينغتون الصغيرة المليئة بالأسواق، حيث نشأت جودي، بعيدة لحسن الحظ عن الحركة الطبيعية للسياح.

شعرت جودي بعضلات معدتها تتقلص من جراء التوتر، فيما جلست باستقامة على المقعد بجانب السائق في سيارة بينتلي المستأجرة. اجتاز لورنزو الممرات الضيقة، فيما اتجها نزولاً بين الجدران الحجرية الرمادية المألوفة، واجتازا اليافطة التي أشارت إلى الطريق نحو البلدة.

أمامهما إلى الأعلى، تقع ساحة البلدة الجميلة، بمنازلها التقليدية، والتي تنتشر على امتداد الطرق الضيقة. أخذت الطريق بالارتفاع نحو أعالي كوتسوود، حيث لا تزال الخراف ترعى كسابق عهدها منذ قرون كثيرة. أما تجارة الصوف، فقد أدت إلى ازدهار تلك البلدة، ومازال ذلك الازدهار واضحاً من خلال مبانيها.

الكوخ الصغير الذي تملكه جودي يقع بعيداً عن الأنظار في أسفل

الزقاق الضيق. استولى على جودي مزيج من الألم والحنين، لكن ذلك الشعور لم يكن بالقوة التي توقعتها. فجأة أدركت أن الديار هي المكان الذي تتشارك فيه مع الشخص الذي تحبه.

أشارت يافطة صغيرة إلى فسحة بين منزلين تؤدي إلى الحديقة التابعة لمشروع البناء الذي يملكه والد جون. زفرت جودي بقوة حين رأت سيارة جون مركونة على جانب الطريق بالقرب من المبنى.

سألها لورنزو: «ما الأمر؟».

- لا شيء.

تلك هي الحقيقة. في الواقع لم تتأثر جودي لرؤية سيارة جون التي كانت تشعرها بالألم والحرمان خلال الأيام الأولى من انفصالهما. على العكس من ذلك، أحست ببعض الارتياح حين مرّا بالقرب منها. عند طرف البلدة ذات المساحات الخضراء الجميلة، تقع الكنيسة. بدت تلك الكنيسة صغيرة وضيقة على نحو غير جذاب، وقد بدا الغبار على نوافذها الزجاجية واضحاً تحت أشعة الشمس. كانت التحضيرات جارية للزفاف الذي سيتم نهار غد. هذا ما أدركته جودي حين رأت باقات الأزهار البيضاء.

عائلة جون، مثل عائلة جودي تماماً، تقطن هنا منذ أجيال عديدة. والدا جون ميسوران نسبياً. تقع مزرعتهما التي بنيا فيها منزلاً لهما مع حديقة واسعة جداً خارج البلدة.

سألته جودي: «هل يمكننا أن نتوقف؟».

- إذا كنت تريدين ذلك.

وجّه لورنزو السيارة بطريقة دائرية إلى داخل موقف السيارات الصغير، ثم أوقفها.

عرفت جودي أن ثمة شيئاً واحد تود فعله، وهي زيارة شخصية واحدة عليها القيام بها.

قالت للورنزو، فيما أمسكت باب السيارة لتفتحه: «لا داعي لأن

تأتي معي. لن يطول غيابي».

أجابها لورنزو: «يجدر بي الترجل أيضاً من السيارة، فأنا بحاجة إلى تمرين عضلات رجليّ».

استطاعت جودي أن ترى لورنزو يعبس حين توجهت إلى الكنيسة. ازداد عبوسه عمقاً حين تجاوزت السياج الأساسي المزين بالورود، لتستدير وتتوجه نحو السياج الأصغر، الذي يؤدي إلى مساحة خضراء توصل بدورها إلى مقبرة خلف الكنيسة.

بدا المكان خالياً، لكن حتى لو كان هناك أي شخص تعرفه، فهي لن تسمح له بأن يؤخرها. عرفت جودي منذ أن وقفت في الكنيسة في فلورنسا، لتتبادل النذور مع لورنزو، أن هذا ما تود فعله.

عبرت جودي الممر الضيق المألوف الذي يشق طريقه بين بلاطات الأضرحة الرمادية. سارت في طريقها عبر المقبرة حتى وصلت إلى حيث تريد.

هناك بين الأعشاب المستكينة تحت غطاء من أوراق الأشجار، وجدت جودي لوحة صغيرة أشارت إلى ضريح مزدوج.

قالت للورنزو ببساطة: «والداي».

انهمرت الدموع من عينيها، فهزت رأسها قليلاً إلى اليمين واليسار، فيما تناولت حقيبة يدها الصغيرة وأخرجت العلبة الصغيرة التي احتفظت فيها بأوراق الأزهار من باقة زفافها. ثم نثرتها برفق على ضريح والديها.

حين استدارت لتنظر إلى لورنزو، أحست بكتلة عالقة في حنجرتها. كان رأسه منحنياً وهو يتلو الصلوات.

- أعرف أن ذلك سخيف، لكني أريدهما أن يعرفا...

توقفت جودي عن الكلام وعضت شفتها.

سألها لورنزو: «هل تريدين أن تدخلي إلى الكنيسة؟».

هزت جودي رأسها بالنفي، وقالت: «لا، فهم يحضرون للزفاف،

ولا أريد...».

- ماذا؟ لا تريدين أن تواجهي الصديقة التي سرقت خطيبك؟ ظننت أن هذا هو سبب وجودنا هنا؟

- جون رجل راشد، ولم يجبره أحد على فسخ خطوبته مني وتفضيل لويس عليّ.

شعرت جودي بألم في رأسها، فأردفت: «هل يمكننا أن نعود إلى السيارة؟».

هز لورنزو كتفيه، وأجاب: «إذا كان ذلك ما تريدينه».

في الواقع، ما تريده جودي هو أن يحبها لورنزو كما اكتشفت أنها تفعل. ما تريده هو أن تعود إلى فلورنسا معه، وتعيش حياتها برفقته، وتبني مستقبلاً إلى جانبه...

قالت له بهدوء: «أشعر بألم في رأسي».

- أنت تشعرين بالقلق على الأرجح. ما الذي تأملين به الليلة جودي؟

أنت! آمل أن تنظر إلي وتحبني...

- لست آمل شيئاً.

- لا شيء؟ ألا تتمنين سراً أن يراك جون، ويدرك أخيراً أنه يريدك أنتِ لا هي؟

- لن يحدث هذا.

- لكنك تتمنين حصوله.

- لا!

سارا عائدين إلى السيارة، فيما كانت جودي منغمسة في رفض اقتراح لورنزو، ولم تنتبه إلى المرأة التي راحت ترمقها بنظرات فضولية، إلى أن سمعت صوتاً مألوفاً يقول في دهشة: «جودي؟ يا إلهي! ظننت أنك ما زلت بعيدة عن الديار».

إنها لوسي هارتلي، التي يعمل زوجها لحساب والد جون!

استطاعت جودي أن ترسم على محياها ابتسامة ضرورية، ثم شرحت لها قائلة: «هذه مجرد رحلة قصيرة».

أردفت: «أردت أن أعرّف... زوجي...».

- زوجك؟ هل تزوجت؟

ارتاحت جودي حين خطا لورنزو إلى الأمام، ومدّ يده باتجاه المرأة. قامت جودي بتعريفهما على بعضهما بسرعة، فيما لاحظت عيني لوسي تتسعان دهشة.

سألتها لوسي: «ستحضران الحفلة المفتوحة التي يقيمها والدا جون هذه الأمسية. أليس كذلك؟».

أجاب لورنزو بلطف قبل أن تستطيع جودي قول شيء: «نأمل ذلك».

تابع يقول: «أخبرتني جودي عن منزلها وأصدقائها، وأنا أتمنى أن ألتقي بهم إذا لم يكن هناك من إزعاج».

- آه! لا. أنا متأكدة أن شيلا وبيل سوف يسرّان كثيراً.

راحت لوسي تبتسم مبتهجة، ثم تابعت: «سوف أخبرهما بالطبع أنني رأيتكما. أين تقيمان بالتحديد؟ لربما سألني أحدهم؟».

بتردد، أجابتها جودي، ورأت بعدئذٍ اتساع عينيها أكثر حين أدركت مستوى الفندق.

- يا إلهي! لقد رفعت مستواك الاجتماعي جودي!

استطاعت جودي أن تشعر بوجهها يلتهب.

- يجب علينا أن نذهب، ونتمنى أن نراك هذه الأمسية.

قال لورنزو ذلك بتهذيب، وهو يوجه جودي بسرعة بعيداً، قبل أن تفضح مشاعرها.

تذمرت جودي بغضب فيما فتح لورنزو باب السيارة: «تلك المرأة هي غاية في الغباء! عندما ذكرت اسم الفندق، كادت تنقض علينا كالمتهورة. هذا، ولم تعرف لقبك بعد!».

أقفل لورنزو الباب، واستدار كي يصعد في مقعد السائق.

حالما شغل المحرك، قالت له جودي بعنف: «لورنزو! لا أريد الذهاب إلى الحفلة الليلة. حين قلت إنني أريد ذلك، لم أكن قد بلورت الأفكار جيداً. الآن أرى أن من الأفضل ألاّ نذهب».

أشار لورنزو بهدوء: «لا يمكننا أن نعدل عن الذهاب الآن، فحضورنا صار مرتقباً».

ينبغي أن تكون جودي ممتنة له، فقد أعاد ترتيب جدول أعماله كي يتمكن من تقديم هذه الخدمة لها، والآن ها هي تطلب منه عدم الذهاب!

نظر لورنزو إلى الجهة الجانبية لوجه جودي التي تشيح به عنه، واستطاع أن يرى تأثير فكرة رؤيتها لخطيبها السابق وعروسه عليها، وكيف أن تلك الفكرة أخذت تضايقها. إذاً لمَ يصر عليها أن تفعل ذلك؟ ما الذي يحاول إثباته؟ لمَ لم تضغط رجله على دواسة الوقود، ولم يتوجه إلى الفندق ثم يعيدها إلى إيطاليا قبل أن تتمكن من تغيير رأيها؟ حين يصل إلى هناك، سيكون أمامه سنة كاملة كي ... سنة كاملة... لماذا؟ ليقنعها أن تبقى زوجته؟ هذا ما أراده. أليس كذلك؟

ماذا لو كان ذلك صحيحاً؟ في الواقع، بدأ يشعر أن من الأسهل له أن يبقى متزوجاً بها، فالزواج يعطي الرجل نوعاً من الحس بالهدف والاستقرار. لم يكن لورنزو يقدّر في السابق قيمة الزواج المنظم القديم الطراز. بالرغم من ذلك، فإنه وجودي متزوجان الآن، وثمة الكثير الذي يمكن قوله من الناحية العملية إذا بقيا متزوجين.

حالما طمأن لورنزو نفسه أن جودي تقبلت أن خطيبها السابق لم يعد متوفراً لها، وبات جزءاً من الماضي، شعر بالثقة بالنفس، وبأنهما يستطيعان أن ينشئا علاقة ناجحة. علاقة زوجية ناجحة! خانه جسده من خلال توتره المفاجئ.

في المقابل سوف تحظى جودي بحماية زوج، وبحياة مريحة. وقد

تحظى بأولاد، إذا ما رغبت بذلك. عبس لورنزو بقوة، فيما أثارت هذه الأفكار التي تنم عن الشهامة، ردة فعل قوية في جسده وعواطفه. لم يعتبر لورنزو يوماً إنجاب الأطفال جزءاً هاماً في خطط حياته، فقد كان لديه أقارب كثر قادرون على إنجاب الدوق التالي، لكن حرصاً على مستقبل الكاستيلو، وجد أن من المنطقي أن يورثه لأولاده. وبدا له من المستحيل أن تترك جودي أولادها.

حين وصلا إلى الفندق، قرر لورنزو أنه لن يتخذ أي قرار حازم إلا بعد انقضاء هذه الأمسية. سوف يلاحظ رد فعل جودي لرؤية خطيبها السابق، وإذا اقتنع بعد التفكير الملي، أن زواجهما سيكتب له النجاح، سوف يخبر جودي بذلك حالما يعودان إلى إيطاليا.

* * *

تمنت جودي لو أنها لم تقل قط إنها تريد حضور الحفلة. تفحصت انعكاس صورتها في مرآة غرفة النوم، ومررت يداً متوترة برفق على سروالها الأنيق القشدي اللون المصنوع من قماش الكريب.

- أجاهزة أنت؟

هزت جودي رأسها من غير وعي، فيما دخل لورنزو إلى غرفة نومها. بدا زوجها، كما يبدو عادة، طويل القامة، أسمر البشرة، فائق الوسامة وأكثر تعجرفاً. في الواقع، بدا ذلك الرجل الذي قد تنجذب إليه أي امرأة مهما علا شأنها؛ ذلك الرجل الذي قد تضعف المرأة أمامه عاطفياً إذا لم تنتبه. يا لها من مسكينة لأنها لم تدرك ذلك منذ البداية!

استطاعت جودي أن تلاحظ الطريقة التي ينظر فيها لورنزو إليها، لكنها أدركت أن أملها سيخيب إذا كانت تنتظر مديحاً ما من قبله.

فيما كانت تهمّ بالتوجه نحو باب غرفة النوم، اقترب لورنزو منها وأوقفها. أخذ رأسها يعج بالصور المستحيلة وبسيناريوهات غير معقولة، منها أن لورنزو يأخذها بين ذراعيه رافضاً أن يتركها؛ لورنزو

يصر أن يبقيها في هذه الغرفة ليشبعها عناقاً؛ لورنزو يقول لها بشغف إنه يحبها. بضعف شديد رفضت جودي أن تعترف كم تمنت أن يحصل هذا، وحاولت أن تركز على ما يقوله لها في الواقع.

- أظن أنه يجدر بك وضع هذا الليلة.

أخفضت جودي بصرها لتنظر نحو خاتم الزمرد المألوف. أشار لورنزو قائلاً: «إنه خاتم خطوبتك. كما أنه رمز لعلاقتنا».

تقدمت جودي لتأخذه من دون أن تتفوه بأي كلمة، لكن لورنزو هز رأسه يميناً ويساراً، ثم تناول يدها، ووضع الخاتم في إصبعها بنفسه.

وخزت الدموع عينيها. دموع غبية أفشت لها مدى سوء تقديرها لضعفها. ليس بإمكان المرأة أن تشعر على هذا النحو إلا إذا كانت واقعة في الحب.

لم يتطلب منهما الكثير من الوقت ليصلا إلى منزل والدي جون. كانت ثمة خيمة كبيرة منصوبة في الحديقة، أما المساحة الموازية للمنزل فمليئة بسيارات مركونة بتنظيم فائق.

رحب بهما عند المدخل ابن عم جون، الذي يرتدي بذلة تقديم العشاء. ما إن تعرف على جودي، حتى فغر فاه قليلاً، ثم احمرت وجنتاه.

قالت جودي للورنزو: «أفترض أنه ينبغي علينا إيجاد والدَي جون أولاً».

وافق قائلاً: «تبدو هذه فكرة جيدة».

سألته وهي تلاحظ العلبة الصغيرة التي يحملها: «ما الذي أحضرته معك؟».

أجابها: «شوكولا من صنع يدوي لمضيفتنا».

ثم أضاف: «سوف تُنقل اثنتا عشرة قنينة من الشراب الفاخر لمضيفتنا لاحقاً».

نظرت جودي إليه نظرة كئيبة، ثم تناولت حقيبتها، وأخرجت منها

علبة مربوطة بالشكل نفسه.

- لدي واحدة مماثلة!

قالت جودي هذا وهي تضحك، وتبتسم من قلبها للمرة الأولى منذ أن وصلت إلى إنكلترا.

- جودي! أخبرتني لوسي أنها رأتك في البلدة بعد ظهر اليوم.

تلاشت ابتسامة جودي ما إن رأت والدة جون تقف أمامها.

بدافع الغريزة، اقتربت جودي من لورنزو، فيما أخذت والدة جون تتفحصها بحدة. ارتفع ذقن جودي وهي تنظر إليها في المقابل.

قالت بهدوء: «آمل أننا لا نتطفل عليكم».

أضافت: «هل يمكنني أن أعرفك بزوجي، شيلا؟».

- زوجك؟ قالت لوسي هذا، لكنني لم أصدقها. يا إلهي! يا لها من مفاجأة!

ضحكت والدة جون ضحكة رنانة، ثم أضافت: «كنا قلقين عليك، وظننا أنك منزعجة ومفطورة القلب!».

- أدركت جودي سريعاً أن غرام المراهقة لا يساوي شيئاً بالمقارنة مع الحب الحقيقي.

استطاعت ابتسامة لورنزو أن تلطف الأثر الحاد لكلماته، لكن جودي رمقته بنظرة حائرة، ولم تتفاجأ لرؤية البريق البارد في عينيه.

أجابته شيلا من دون عاطفة صادقة: «حسناً! أتمنى لكليكما السعادة... سيد...».

عرف لورنزو بنفسه بثقة وبرودة: «لورنزو نيكولو دستي، دوق دي مونتسافرو».

سألته شيلا بتردد: «هل أنت... دوق؟».

أحنى لورنزو رأسه موافقاً، وقال بكياسة: «لكن نادني لورنزو من فضلك».

فجأة، بدأت جودي تشعر بالمرح.

سألت مضيفتها بلطف: «كيف حال المستشار هاغينز؟».

ثم استدارت لتشرح للورنزو: «والد جون هو مستشار قانوني».

لاحظت جودي أن وجه والدة جون بدأ يتحول إلى لون قرنفلي غير جذاب. تذكرت على الفور تلك المناسبات التي حاول فيها والدا جون معاملتها على أنها أقل منهم شأناً.

همست للورنزو فيما ابتعدا كي يتركا المجال لشيلا لترحب ببعض الواصلين من الزوار: «هذه إحدى المنافع لكوني تزوجت بك وليس بجون».

- وما هي؟

أجابت جودي بإيجاز: «ليس لدي حماة».

صارا الآن يجذبان الكثير من الأنظار نحوهما، فيما بدأ الناس يلاحظون وجود جودي، ويرمقونها مرتين متتاليتين سريعتين، قبل أن يستديروا كلياً ليتفحصوها عن قرب وبفضول.

وضع لورنزو يده تحت مرفقها، إنه على الأرجح خائف من أن تتعثر بكعبيها العاليين، فتقع على وجهها، وتلحق بهما العار. هذا ما فكرت به جودي، فيما حاولت أن تعبر بنجاح الأرض غير المستوية.

- جودي...!

استدارت جودي مع ابتسامة حقيقية مرتسمة على محياها، حين سمعت الدفء والسعادة في صوت الطبيب المحلي.

- دكتور فيليبس!

عانقها الطبيب بحماس، ثم ابتسم لها بصدق. وقال: «تبدين بحال جيدة».

- طعام إيطالي، وشمس إيطالية...

قاطعها لورنزو، بكلمات أضحكت الطبيب: «... وزوج إيطالي».

همس الطبيب قائلاً: «لا يجدر بي قول هذا... لكنني لطالما

اعتقدت أنك ستكونين خسارة كبيرة مع جون، فهو شاب جميل لكنه ضعيف، وواقع تحت سيطرة أمه».

اعترضت جودي، لكنها ظلت تضحك: «مسكين جون! هذا ليس لطيفاً».

حتى الآن لم تكن جودي قد رأت أياً من لويس وجون، بالرغم من أنها ظنت أنها رأت والدي لويس. لطالما أحبت جودي والدة لويس، لكنها لم تكن تتمنى أن تراها الآن. بصفتها أماً، من الطبيعي أنها سوف تدعم ابنتها بغض النظر عما تكون هذه الأخيرة قد فعلته.

بالإضافة إلى ذلك، دفع الصدق جودي لأن تعترف بأنه لو كان لويس وجون يحبان بعضهما، فمن الطبيعي أن يظهرا معاً. لكنها لم تعد تهتم لما يفعلانه على أي حال، لأن مسار حياتها قد تغير، وتبدلت مشاعرها. نظرت جودي إلى لورنزو، وسمحت لنفسها بالتمتع ببعض التخيلات، كأن تقترح عليه أن يغادرا ويذهبا إلى الفندق. لابد أنه سيوافق بطيبة خاطر وبابتسامة حميمة مرضية. تنهدت قليلاً فيما تخلت عن هذا السيناريو غير المحتمل بالرغم من إغرائه. سألها لورنزو مسيئاً فهم سبب تنهدها: «أهي رجلك؟».

هل عليها أن تكذب، وتتظاهر أنها تزعجها كي تجد وسيلة للمغادرة؟

قبل أن تتمكن من التفوه بكلمة واحدة، انضم إليهما الكاهن وزوجته. وعلى الفور انغمس لورنزو في الحديث معهما عن فلورنسا.

ارتشفت جودي رشفة من كوبها، حين سمعت لويس تقول لها بنبرة فظة: «أود التكلم معك قليلاً».

كانت لويس وحدها، ولم يكن هناك من أثر لجون. همست صديقتها السابقة بغضب: «لا تظني أنني لا أعرف ما تنوين فعله وما تفعلينه هنا».

استطاعت جودي أن تشعر بوجهها وقد أخذ يلتهب. إنها تشعر

بالذنب بسبب دافعها الأساسي للقدوم إلى هناك، لكن لربما هناك فرصة للمسامحة، ولإنهاء المرارة بينهما. قالت لويس: «هذه حياة حقيقية جودي، وليست قصة رومنسية».

ثم أردفت بحدة: «لن يعير جون اهتمامه لكِ أصلاً، ويتركني كي يعود إليك».

أجابتها جودي: «جيد، لأنني بصراحة لا أريده أن يفعل».

أضافت بنبرة واثقة: «لويس! أنا متزوجة الآن، وأنا...».

- متزوجة؟ أنت؟

نظرت لويس إلى جودي بازدراء، وقالت: «يمكنك خداع الجميع، لكنني لا أصدقك البتة. أظن أنك غير متزوجة، فأنت لا تبدين كذلك، وأعتقد أن «زوجك» المزعوم ما هو إلا ممثل وظفته للعب هذا الدور».

رمقت لويس جودي بنظرة غضب، وأكملت: «ما من رجلٍ بمثل وسامته سينظر إليك، لاسيما مع رجلك تلك. الجميع يضحك منك. تعرفين هذا الأمر. أليس كذلك؟ أنت تتظاهرين بزواجك من دوق، وكأنها الحقيقة! وذاك الخاتم السخيف الذي تضعينه...».

أضافت وهي تلوي شفتيها: «من الواضح جداً أنه مزيف مثلك تماماً ومثل زوجك. أراهن على أنك مازلت تلك العذراء الصغيرة المثيرة للشفقة منذ أن تركك جون».

بدافع الغريزة، وجهت جودي نظرها نحو لورنزو، وفي عينيها التماس صامت. نظر إليها هذا الأخير في المقابل، ثم أخذ يتوجه نحوها، مستجيباً لرسالتها العاطفية الصامتة التي أرسلتها له. شعرت جودي بالارتياح حينئذٍ. ذلك كل ما تستطيع فعله كي لا ترمي نفسها بين ذراعيه، وتتوسل إليه بأن يأخذها بعيداً عن هذا المكان.

شعر لورنزو بألم جودي في قلبه. ففارت في داخله رغبة غريزية وغضب حانق كي يحميها. سمع ما قالته لويس لها، ولم يكن بحاجة

حتى إلى ذلك الالتماس الصامت من قبلها وهي تتوسله أن يساعدها، ويقف إلى جانبها. أراد أن ينتشلها ويبعدها عن هؤلاء الأشخاص الذين لا يقدرونها، عن الرجل الذي لم يحبها كما تستحق أن تُحَب، والذي لغبائه رفضها. في تلك اللحظة شعر لورنزو أن الحب يغمره ويطرد أي شيء آخر وأي شخص آخر. لم يعد يهمه شيء غير جودي وسعادتها.

اقترب لورنزو من جودي، وأمسك بيدها.

قال للويس ببرودة: «المعلوماتك، أنا لست ممثلاً. أنا وجودي تزوجنا، وأنا متيم بجمالها، تماماً كما أحب عذوبة طبيعتها. أما بالنسبة إلى أصالة لقبي وخاتم الخطوبة العائلي...».

بدت النظرة التي أعطاها لورنزو للويس صاعقة فعلاً، وتعجبت جودي كيف أنها لم توهن لويس على الفور.

أكمل لورنزو موضحاً: «بما أنك مخطوبة إلى رجل، من الواضح أنه لا يستطيع أن يفرق بين ما هو أصلي وما هو خادع، لا يستغرب المرء أن يسمعك تعبرين عن آراء خاطئة وجاهلة».

أردف قائلاً: «المعلوماتك أيضاً، فإن سبب مجيئنا إلى هنا...».

رفع لورنزو صوته قليلاً فيما تجمع حولهم حشد فضولي، وأردف: «كان ذلك قراري. أردت أن أرى المكان الذي نشأت فيه جودي، وأن ألتقي أيضاً الأشخاص الذين ترعرعت بينهم. وأعترف أنني أردت أن ألتقي أيضاً الرجل الذي كان غبياً بما يكفي ليتخلى عنها. أما هي فكل ما أرادته هو أن تتمنى لكما أطيب التمنيات».

ظل لورنزو ممسكاً بيدها، وفي تلك اللحظة أمسك بها بإحكام فيما اقترب أكثر نحوها في حركة تنم عن الحماية. تلقائياً مالت جودي نحوه، مرحبة بدفء جسده وهو يمتص صدمتها وارتجافها.

ثم قال لورنزو للويس بصوت خفيض جداً لم يسمعه أحد سواها: «يا لك من مخلوق يدعو للشفقة!».

أضاف: «تسرقين خطيب صديقتك، وبسبب عدم أهليتك وافتقارك للعمق العاطفي، تجبرين على العيش في خوف دائم خشية أن تسلبه منك».

تحول لون بشرة لويس من الأحمر إلى الأبيض، فيما ضربت كلمات لورنزو الوتر الحساس لديها. فجأة بدت المرأة التي لطالما اعتبرتها جودي مثالاً للجمال بشعة جداً.

أتى جون مسرعاً إلى جانب لويس، وهو ينظر عاجزاً تارة إلى الأمام وتارة إلى الخلف بين جموع النسوة. حين نظرت جودي إليه لاحظت كم يبدو زرياً بالمقارنة مع لورنزو، وكم يبدو ضعيفاً كرجل. لو لم تكن قد أدركت مسبقاً أنها لم تعد تحبه، فإنها ستدرك هذا الآن بالتأكيد.

سألها لورنزو: «هل أنت جاهزة للمغادرة؟».

بصمت مطبق هزت جودي رأسها إلى الأمام والخلف.

١٤ - إلى أن يفرقنا الموت...

قاد لورنزو السيارة إلى فندقهما بصمت، وشعرت جودي بالامتنان له لأنه لم يتفوه بكلمة. حين عادا إلى جناحهما، شعرت بالصدمة والانزعاج من جراء هجوم لويس الحاقد.

ما أرادته الآن هو خصوصية غرفتها، حيث تستطيع أن تطلق العنان لدموعها التي كانت على وشك الانهمار. شعرت بالارتياح حين لم يعلّق لورنزو عندما قالت: «رأسي يؤلمني. أظن أنني سوف أخلد إلى النوم باكراً».

في غرفتها، خلعت جودي ثيابها ثم استحمت. بعد أن جففت جسمها بسرعة وارتدت ثياب النوم، سارت بهدوء نحو سريرها لتندس بين الأغطية الباردة الناعمة، وهي تشعر بالرضى لأن لويس لم تعرف أنها ولورنزو ينامان في غرفتين منفصلتين.

انتفضت عندما سمعت طرقة قوية على باب الغرفة، تلاها صوت لورنزو وهو يقول: «طلبت لك طعام العشاء. سأجلبه لكِ».

كان الوقت قد فات لتقول له إنها لا تريده، فقد فتح الباب ودفع عربة مُثقلة بالطعام إلى داخل الغرفة. سألها بجفاف: «هنا بعض السلطة الباردة وكوب من الشاي. تذكرت أنكِ تحبين شرب الشاي حين يؤلمك رأسك... أم أن ذاك الألم نابع من قلبك؟».

عضت جودي شفتها، وكافحت حتى تسوي جلستها، فيما بقيت متمسكة بغطاء السرير حماية لها. أخذت نفساً عميقاً، وقالت بصوت خفيض: «لورنزو! لم أشكرك بعد على... على مساندتي بما قلته

www.liilas.com

للويس».

- أنت زوجتي. حين يتعلق الأمر بصحة زواجنا، من الطبيعي أن أساندك، ومن الطبيعي أيضاً ألا أدع تلك المرأة الغبية تصدر اتهامات خاطئة.

هزّت جودي رأسها يميناً ويساراً، ثم قالت: «نعرف كلانا أن مجيئنا إلى هنا لم يكن فكرتك».

أجابها بهدوء: «لا. كانت فكرتكِ، لأنك أردت أن تري خطيبك السابق، وتعرفي أنك أفضل حالاً من دونه».

أكمل برزانة: «الانطباع الذي أخذته عنه من الأشخاص الذين تكلمت معهم هو أنه رجل ضعيف وسطحي، وتسيطر عليه أمه إلى حدّ كبير».

- عائلة لويس غنية جداً. على الأرجح أن شيلا اعتقدت أن لويس سوف تكون زوجة أفضل لجون، ربما لأنني أشكو من ضعف في رجلي. في الواقع جون لا يعني لي شيئاً الآن. أستطيع أن أراه على حقيقته، وأظن أنني محظوظة بعدم الزواج به.

عبس لورنزو، وقال: «تبدين كأنك تعنين ذلك فعلاً».

- نعم. أدركت أنني لم أعد أحبه قبل أن أغادر إنكلترا، وعودتي أكدت ما عرفته مسبقاً.

لكنها بالطبع لم تستطع أن تخبر لورنزو أن عودتها ورؤيتها لجون، أظهرتا لها قوة حبها للورنزو مقارنة مع المشاعر التي كانت تعتقد أنها تكنها لجون...

أخذت تقضم شفتها السفلى، ثم قالت بارتباك: «كان يجب علي أن أدرك... أن الناس سوف يعرفون أن... زواجنا ليس حقيقياً، وأنك لا تريدني».

ضحكت جودي ضحكة قوية، وأردفت: «أعتقد أن من الواضح أنني عذراء غير مرغوب فيها، كما أن رجلي... و...».

- ما هذا الهراء؟

سألها لورنزو، وهو يضع كوب الشاي الذي كان يسكبه لها، ثم توجه إلى جانب السرير كي يقف بقربها.

أصرّت جودي بكآبة: «هذا ليس هراء».

وأكملت بنبرة شرسة: «رفضني جون بسبب رجلي، وبسببها أيضاً ما زلتُ عذراء. أكره أن أعرف أن الناس يشفقون علي، ويهزأون بي بسببها».

وأردفت: «أتمنى لو...».

- لو... ماذا؟

- لو أنّ لويس رأت امرأة حقيقية حين نظرت إلي.

جلس لورنزو على السرير بجانبها.

قال لها بعدم احتشام: «إذا كان ذلك ما تريدينه، فيمكن تحقيقه بسهولة».

وأردف: «... لأنني، وعلى خلاف خطيبك السابق المغفل، أشعر بانجذاب كبير نحوك.».

ابتلعت جودي ريقها، وقالت بصوت حاد: «أنت... ماذا؟».

أجابها لورنزو: «نعم. بالإضافة إلى ذلك، أنا أكثر من مستعد لأثبت هذا لكِ. أمامنا الليلة بطولها. وإذا أردتِ، سوف تشهدين زواجهما البائس بنظرة امرأة متفتحة يوم غد، امرأة أشبعت فضولها وتوقها إلى العلاقة الزوجية الحقيقية».

هل يعرض عليها لورنزو إقامة علاقة حميمة؟ ارتعشت جودي قليلاً، ورطبت شفتيها بطرف لسانها، ثم أجابته: «لكن... هناك مخاطرة بذلك، إذ ربما أصبح حاملاً».

- إدارة الفندق هنا تحتاط لهذه الأمور.

حين بدت جودي مرتبكة ومحتارة، شرح لها لورنزو: «ثمة رزمة من وسائل الوقاية في كل غرفة».

- آه! آه... ! فهمت.

قال لها لورنزو: «يعود الأمر إليك».

عرفت جودي أن ما يقوله الآن لا يعني شيئاً على الإطلاق. إنه يقدم لها علاقة حميمة وهذا كل ما في الأمر، وليس الحب الذي لطالما تاقت إليه، وبالطبع ليس المستقبل والاستمرارية. لكنها زوجته ويحق لها الحصول على ما يعرضه عليها.

ابتلعت ريقها بصعوبة ونظرت إليه.

- إذاً أختار أن أجيب بنعم.

حين نهض عن السرير، وابتعد عنها، كل ما استطاعت التفكير به هو الألم الذي تضاعف ملايين المرات، وبملايين الطرق التي اختلفت عن تلك المرات التي ابتعد عنها جون فيها. بدلاً من أن يتوجه لورنزو نحو الباب، أبعد عربة الطعام، وخلع سترته ثم رماها على الأرض بلا مبالاة.

بعدئذٍ عاد إلى السرير مجدداً.

راح لورنزو يعانقها حتى لم تعد جودي تستطيع التفكير بسبب الحميمية التي يتشاركانها. لفت ذراعيها حول عنقه، واستسلمت لحرارة عناقه.

إنها الآن مع الرجل الذي تحبه. هل من شيء أكثر سعادة وهناء؟ تساءلت جودي بانفعال شديد، فيما سمحت لنفسها باكتشاف البشرة الدافئة التي تغطي عضلات لورنزو، قال لها لورنزو بلطف: «عندما رأيتك للمرة الأولى فكرت أنك تتمتعين برجلين طويلتين. وعرفت حينها أنني أريد الحصول عليكِ».

اعترضت جودي: «لا يمكن أن تكون قد فكرت بهذه الطريقة».

وأردفت: «بدوت غاضباً جداً!».

سرعان ما رأت فم لورنزو يلتوي في ابتسامة أصيلة، حين أجابها: «ألا تعرفين أيتها العذراء الصغيرة، أن الرجل قد يكون غاضباً

ومنجذباً إلى المرأة في الوقت نفسه؟ خطيبك السابق غبي. ما من مخلوق يستحق لقب رجل، إن لم يتمكن من الحفاظ عليك، جودي».

اعترضت قائلة: «لكن رجلي...».

- هذه الندوب تجمّل رجلك لأنها دليل على شجاعتك.

ملأت عيني جودي دموع العاطفة، لكن قبل أن تستطيع أن تتخلص منها، أخذ لورنزو يعانقها من جديد حتى سيطرت عليها عواطف جيّاشة.

سألها لورنزو بصوت أجش: «هل أنت واثقة من أنك تريدين الاستمرار بهذه العلاقة؟».

هزت جودي رأسها بالإيجاب، وغرزت أصابعها أكثر في ظهره.

لم يكن لديها أي تخوّفات أو تحفظات، إنما توق مؤلم.

في اللحظات التالية ضمها لورنزو إليه، ثم قادها إلى عالم من المشاعر الحميمة التي جعلتها تشعر كأنها تحلق في السماء. فيما اختبرت جودي أحاسيس رائعة لم تعرف بوجودها من قبل.

نظر لورنزو إلى السرير حيث كانت جودي ما تزال مستلقية، وتساءل كيف يمكن لحياته بأكملها أن تتغير في طرفة عين. عندما نظر إليها في تلك الحديقة الإنكليزية، ورأى الألم والكآبة في عينيها، عرف على الفور أن حاجته البدائية لحمايتها نابعة من الحب.

الحب! هل كان الحب موجوداً منذ لقائهما الأول، وهو لم يدركه لأنه لم يرغب بإدراكه، أم أنه نما رويداً رويداً مع نمو معرفته بها؟ على أي حال ذلك لا يهم الآن.

فتحت جودي عينيها.

- لورنزو!

ابتسمت له، ثم احمرّت وجنتاها قليلاً.

- هل أنتِ بخير؟ أأنتِ نادمة؟

هزت جودي رأسها بالنفي، وأجابت: «لست نادمة على الإطلاق».

سألها لورنزو بسخرية: «ألا تتمنين أن يكون جون مكاني؟».

- لا! أردت أن تكون أنت.

- هممم... حسناً! بما أن هذا ما حصل، يجدر بنا التكلم عن المستقبل.

أخذ لورنزو نفساً عميقاً، وأشاح بنظره عنها. سألها: «ما رأيك في أن نجعل هذا الزواج يستمر؟».

لم تجب جودي على الفور، فاستدار نحوها متجهماً، ليرى الدموع تنهمر من عينيها.

بكت جودي، وهي تقول: «لا أستطيع أن أقول نعم».

وأضافت: «أريد ذلك، لكن لن يكون الأمر عادلاً بالنسبة لك. ليس حين...».

- ليس حين ماذا؟

اعترفت بلطافة: «ليس حين أعرف أنني أحبك».

اقترب لورنزو من السرير، وجلس عليه بالقرب منها.

- هل يختلف الأمر إذا اعترفت لك أنني وقعت في حبك أيضاً؟

أجابته جودي برصانة: «إن كان ذلك صحيحاً فحسب».

تناول لورنزو يدها، وشبك أصابعه بأصابعها، ثم رفع يديهما المتشابكتين إلى شفتيه ليقبل راحة يدها. راح قلب جودي ينبض بقوة، حتى كاد يرتطم بجدار صدرها. أرادت بكل قواها أن تصدّقه، لكنها خائفة من أن تفعل ذلك.

قال لها لورنزو بهدوء: «لم أستخدم واقياً للحماية».

ابتلعت جودي ريقها، ثم قالت: «أتعني أنك نسيت؟».

- لا. أعني أنني اخترت ألا أفعل. لأنني أردت أن نقيم علاقة زوجية حقيقية من دون أي عوائق، ولأنني لا أستطيع أن أفكر بشيء

أكثر روعة من معرفة أنه يمكننا أن ننجب طفلاً.

- هل تثق بي إلى هذا الحد؟

- نعم، وأكثر من هذا أيضاً. أثق بك بما فيه الكفاية لأعترف أنني أحبك. فقد رأيت الطريقة التي نظرت بها إليّ حين كانت لويس تهينك. رأيت أنك لا تطلبين مساعدتي فحسب، إنما تطلبينني أنا أيضاً.

مال لورنزو إلى الأمام، وعانقها بلطف، ثم تراجع قليلاً. اعترضت جودي عبر همهمة بسيطة، ثم اقتربت منه أكثر. همست له: «قُل لي إنك تحبني بكل ما للكلمة من معنى».

ضحك لورنزو، وقال: «سوف أثبت لك ذلك على الفور».

الخاتمة

- انظر إلى وجوههم!

همست جودي للورنزو، فيما كانا يقفان بجانب بعضهما في ساحة الكاستيلو، وهما يراقبان التعابير البادية على وجوه الأطفال، وهم يترجلون من الحافلة المكيفة التي أقلتهم من المطار. أولئك هم ضحايا الحرب الذين يصلون إلى الكاستيلو ضمن إطار المشروع الذي بدأه لورنزو.

مضت سنة على رجوعهما من إنكلترا، وهما لا يزالان ملتزمين ببعضهما وبزواجهما وبإنجازات حلم لورنزو.

في الغرف الأساسية، اللوحات المجددة تلمع بفضل غنى ألوانها النابضة بالحياة. وفي غرف النوم المفروشة والمطلية حديثاً، الأسرة تنتظر الأطفال، أما أخصائيو المعالجة المتمرسون فينتظرون في الجناح الجديد الذي يضم بركة السباحة، وغرف العلاج، بالإضافة إلى النادي الرياضي.

قالت له جودي: «يا له من عمل رائع تقوم به، لورنزو!».

ثم أضافت: «أنت تقدم المساعدة للكثيرين، وتُدخل الفرح إلى قلوبهم».

- ليس أكثر من الفرح الذي أدخلته أنت إلى قلبي.

قال لورنزو لها هذا، وهو يحني رأسه ليعانقها، ثم ضحكا معاً فيما حاول ابنهما البالغ من العمر الثلاثة أشهر، والذي تحمله جودي بين ذراعيها، أن يلتقط إصبع والده!